أبو اليسر فرح

دور اليهود فى الصراع على العرش السلوقى(*)

كانت الدولة السلوقية واحدة من الدول التى قامت على أنقاض إمبراطورية الإسكندر الأكبر، وقد أعلن سلوقس الأول قيام هذه الدولة فى عام ٣١٢،[1] وذلك بعد أن نجح فى استعادة مكانته فى بابل، التى تمكن من انتزاعها من أنتيجونس، وكان هذا الأخير قد فرض سيطرته على هذه الولاية مخالفا القرارات التى صدرت فى مؤتمر بابل عقب وفاة الإسكندر، وهى القرارات التى أسندت مهمة إدارة ولاية بابل إلى سلوقس.[2]

وقد ورثت الدولة السلوقية ممتلكات إمبراطورية الإسكندر الأسيوية، وهى مناطق مترامية الأطراف، وأدرك سلوقس منذ البداية مدى عبث محاولة فرض سيطرة الدولة على هذه المناطق، لذا قام بعقد معاهدة مع رجل الهند القوى شاندراجوبتا *Shandragubta*، الذى تزعم ثورة ضد الوجود المقدونى فى وادى السند، وبمقتضى هذه المعاهدة تنازل سلوقس عن الأراضى التى تقع على الضفة اليمنى لنهر السند، وأحتفظ بولاية باكتريا *Bactria*، وأرسل سفيراً دائماً إلى بلاط شاندراجوبتا يدعى ميجاستنيز *Megasthnes*.[3]

---

* هذا البحث كان أحد البحوث التى ألقيت فى المؤتمر الذى عقده قسم اللغة العبرية بكلية الأداب – جامعة عين شمس فى ١٨–١٩ إبريل ٢٠٠٦، وكان عنوانه "مؤتمر توظيف المصطلح والنص فى الدراسات العبرية".

(1) جميع التواريخ الواردة فى هذا البحث قبل الميلاد.

(2) مفيد العابد: سورية فى عصر السلوقيين. من الإسكندر إلى بومبيوس ٣٣٣–٦٤ ق.م.، دمشق ١٩٩٣، ص ٥٢.

(3) Jouguet, P., Alexander the Great and the Hellenistic World. Tr. By M. R. Dobie. Chicago. (1978), p. 150.

ومما هو جدير بالذكر أن موقعة إيسوس *Ipsos* التى عرفت بموقعة الملوك قد وضعت نهاية لآخر محاولة لإحياء إمبراطورية الإسكندر، وكان سلوقس ولوسيماخوس أكثر القادة استفادة من نتائج هذه المعركة، فقد سيطر الأول على سوريا، أما الثانى فقد وضع يده على معظم المقاطعات التى كانت تحت سيطرة أنتيجونس فى آسيا الصغرى.(١)

وقد أسفرت الصراعات التى نشبت بين خلفاء الإسكندر عن قيام ثلاث ممالك كبرى، على رأسها ثلاثة من الحكام الأقوياء هم بطلميوس ولوسيماخوس وسلوقس، ويرى المؤرخ أريان *Arrian* أن سلوقس كان أكثر هؤلاء الحكام شبها بالإسكندر،(٢) الذى نجح فى أن يبسط سيطرته على أكبر الممالك من حيث المساحة، وهى مملكة لم يحكم أحد مثلها من قبل، سوى الإسكندر ذاته، فقد كانت مملكة سلوقس تمتد من سوريا حتى حدود البنجاب فى الشرق، وعلى الرغم من ذلك فإن سلوقس لم تفارقه الرغبة فى تحقيق مكاسب فى بلاد اليونان، وقد دفع حياته ثمناً لهذه الرغبة، حين لقى حتفه على يد بطلميوس الصاعقة فى عام ٢٨١.(٣)

وتجدر الملاحظة بأن الدولة السلوقية ظلت أكبر الدول الهللينيستية من حيث المساحة على الرغم من محاولة مؤسسها تخفيف العبء على السلطة المركزية عن طرق التخلى عن الممتلكات البعيدة، وذلك من خلال المعاهدة التى أبرمها مع شاندراجوبتا، وقد أدى اتساع مساحة الدولة إلى وجود عدد كبير من الشعوب التى انضوت تحت لوائها، فقد بلغ عدد سكان الدولة السلوقية ثلاثين مليوناً من البشر،(٤) وكان هذا مدعاة لتنوع القوميات والثقافات فيها، على عكس الحال فى مملكة البطالمة فى مصر التى ضمت شعباً متجانساً ذو ثقافة موحدة.

---

(1) Bevan. E., The House of Seleucus. Chicago. (1985), p. 61.

(2) Arrian. Anab. VII. 22. 5.

(3) Bevan. E., op. cit., p. 73.

(4) Grant. M., From Alexander to Cleopatra. The Hellenistic World. London. (1982), p. 48.

كان على حكام الدولة السلوقية أن يراعوا هذا التباين فى ثقافات الشعوب التى يحكمونها، ولكنهم فى نفس الوقت كانوا شديدى الاعتزاز بأصلهم الإغريقى، فأخذوا على عاتقهم مهمة نشر الحضارة الإغريقية فى ربوع مملكتهم، وقد تجلى ذلك فى قيامهم بإنشاء العديد من المدن الإغريقية فى أنحاء البلاد، وهى السياسة التى ميزتهم عن سائر معاصريهم من حكام العصر الهللينيستى.(١)

والحقيقة أن السلوقيين على الرغم من حرصهم على نشر الحضارة الإغريقية فإنهم احترموا حضارات الشعوب الأخرى التى عاشت فى كنفهم، فلم يعملوا على طمسها أو التقليل من قدرها، فإن الحضارة البابلية على سبيل المثال بعثت من جديد فى ظل الحكم السلوقى، ونشطت حركة تدوين السجلات البابلية فى تلك الفترة، ويمكن القول بأن الدولة السلوقية اتبعت سياسة التسامح مع كافة رعاياها، وتمكنت من تحقيق نجاح كبير فى هذا المجال، بيد أنها أخفقت فى حالة واحدة وهى حالة اليهود الذين خاضوا صراعا مريرا ضد الدولة السلوقية، تجلى بصورة واضحة فى عهد الملك أنطيوخس الرابع إبيفانس *Epiphanes*، وهو صراع لم تكن دوافعه حضارية أو دينية، بل كانت دوافعه سياسية فى المقام الأول، وتدخل فى إطار النزاع بين الدولة السلوقية ودولة البطالمة فى مصر، لأن طائفة من يهود فلسطين كانوا يدينون بالولاء لمصر، بينما شايعت طائفة أخرى سياسة الملك أنطيوخس الرابع.(٢)

---

(1) عن حركة إنشاء المدن فى الدولة السلوقية، أنظر:
Grainger. J. D., The Cities of the Seleukid Syria, Oxford. (1990).
وعن مدينة أنطاكية عاصمة الدولة السلوقية، أنظر:
داونى. جلانفيل: إنطاكية القديمة. ترجمة: إبراهيم صبحى. القاهرة ١٩٦٧.

(2) ربما كنا بحاجة إلى أن نذكر القارئ بأن فلسطين ظلت تابعة لمصر حتى إستيلاء أنطيوخس الثالث عليها فى عام ٢٠٠، وقد إتسمت سياسة البطالمة بالتسامح تجاه اليهود، لذا ظل المتدينون منهم على ولائهم لمصر. أنظر:
Tarn. W, Griffith. G. T. Hellenstic Civilization 3d ed. London. (1959). pp. 213-14.

ولما كان محور هذا البحث هو دراسة العلاقة بين اليهود والسلطة المركزية فى الدولة السلوقية، وذلك من خلال تدخلهم فى الصراع الذى نشب حول العرش السلوقى، واتهام البعض إياهم بأنهم كانوا سبباً فى إضعاف الدولة السلوقية، فإننا نحاول إلقاء الضوء على هذه الآراء، ويرى تشيركوفر *Tcherkover*، أن اليهود لم يكونوا مسئولين عن إضعاف الدولة السلوقية، فإن هذه الدولة كانت تحمل فى طياتها منذ البداية عوامل ضعفها، والتى تمثلت فى تكوينها من الناحية الجغرافية، والذى أدى إلى وجود تباين بين الشعوب التى حكمتها،(1) وأنها حتى وهى فى أوج قوتها فى عهد أنطيوخس الثالث اضطرت إلى تقديم تنازلات حتى تتمكن من الحفاظ على تماسكها. ويعتقد هذا الباحث أن ما قامت به الشعوب الشرقية ضد الدولة السلوقية هو نوع من الدفاع عن النفس، وأنه يدخل فى إطار ما يمكن أن نطلق عليه الصراع بين الشرق والغرب، وفى هذه الحالة فإن الشرق هو الذى تعرض للاعتداء، وأن الغرب كان يحاول الحفاظ على المكانة التى حصل عليها، باعتباره قوة قاهرة فى أعقاب الانتصارات التى أحرزها الإسكندر.

والحقيقة أننا لا نتفق مع هذا الرأى الذى ساقه تشيركوفر، ولا يمكننا أن نعتبر الدولة السلوقية قوة غربية، صحيح أن السلوقيين كانوا مقدونيين فى الأصل، وكانت ثقافتهم إغريقية غربية، إلا أنه لا يمكن توجيه الاتهام لهم بأنهم عملوا على فرض الحضارة الإغريقية على رعاياهم، والدولة السلوقية تمثيل صادق للحضارة الهللينيستية، التى تعد اندماجا ما بين الحضارتين الشرقية والغربية، وهى انعكاس لأفكار الاسكندر الأكبر، وكان سلوقس اكثر الخلفاء تشبعا بأفكار الإسكندر، ولعلنا نتذكر على سبيل المثال أنه الوحيد من خلفاء الإسكندر الذى احتفظ بزوجته الفارسية أباما *Apama* ولم يطلقها كما فعل بطلميوس بن لاجوس، وأنجب سلوقس من هذه الزوجة الفارسية الأبناء الذين حكموا الدولة من بعده.

---

(1) Tcherikover. V., Hellenistic Civlization and the Jews, New York. (1979). pp. 240ff.

وإذا أردنا أن نبحث عن السبب الحاسم فى إسقاط الدولة السلوقية فإننا نشير بإصبع الاتهام إلى قوة غربية وهى الدولة الرومانية التى وجهت إلى أنطيوخس الثالث لطمــة قويـــة فـــى موقعـــة ماجنيسيا *Magnesia* فى عام ١٨٩ وكانت هذه الهزيمة التى لقيها هذا الملك على يد الرومـــان هى بداية السقوط للدولة السلوقية، وعلى عكس ما يسوقه تشيركزفر فإننا نرى أن الدولة السلوقية هى القوة الشرقية التى وقع عليها العدوان من قوة غربية هى روما.

ويتفق جراهام شيبلى *Graham Shipley* مع تشيركزفر فى إبعاد[1] أصـــابع الاتهـــام عـــن اليهود باعتبارهم العامل المباشر فى إضعاف الدولة السلوقية، ويقول أن طبيعة تكـــوين الدولـــة السلوقية هى التى أدت إلى إضعافها، وأن هذه الدولة كانت توجد بها العديد من عوامل الضعف، وأن العناصر المختلفة فى الدولة انتهزت الفرصة لكى تحقق مكاســـب علـــى حـــساب الـــسلطة المركزية، ويمكن أن نأخذ فى الاعتبار ما قام به اليهود الذين انتهزوا فرصـــة الـــصراع حـــول العرش من أجل تحقيق مكاسب إقليمية على حساب السلطة المركزية، بل ومحـــاولتهم اكتـــساب شرعية على الصعيد الدولى من خلال سعيهم إلى إقامة علاقة مع قوة دولية هى روما.

ويعنى هذا من وجهة نظر هذا الباحث أن اليهود لم يكونوا سببا مباشراً فى إضعاف الدولـــة السلوقية، ولكنهم استغلوا عوامل الضعف الكامنة فى بناء هذه الدولـــة فـــى تحقيـــق طموحـــاتهم السياسية، وعلى حد تعبير سيسيل روث *Cecil Roth*، أن اليهود اعتادوا على الصيد فى الميـــاه العكرة.[2] أما الباحث شورر *Schurer* فيذكر فى أكثر من موضع من مؤلفه الكبير عن تـــاريخ اليهود كيف عمل اليهود على استغلال الظروف التى كانت تمر بها الدولة السلوقية فـــى تحقيـــق

(1) Shipley. Graham, The Greek World after Alexander 323-30 B.C. London. (2004), p. 271.

(2) Roth. Cecil, A Short History of the Jewish People, London. (1953). p. 74.
جاء فى هذا الكتاب تعليقاً على ما قام به يوناثان فى أثناء الصراع ما بين ديمتريوس والإسكندر بالاس بأنه
The Carful fishing in the ever- troubled water.

مكاسب سياسية.[1] ويقول معلقاً على رضوخ الملك السلوقى ديمتريوس *Demetrius* لمطالب الزعيم اليهودى يوناثان *Jonathan* "إن استجابة الملك السلوقى لمثل هذه المطالب كان يعد أمراً غير مقبول منذ عشر سنوات، ولكنه اضطر للرضوخ بسبب ضعف الدولة"، ويستطرد فى موضع آخر قائلاً "أن الصدام الذى وقع فى السنوات الأولى لحكم هيركانوس *Hyrcanus* أثبت مرة أخرى أن الدولة اليهودية الصغيرة تستطيع فقط أن تحتفظ باستقلالها عندما تكون الدولة السلوقية فى حالة ضعف"، وأردف فى موضع آخر "إن التوسعات التى قام بها هيركانوس أمر طبيعى، بسبب الضعف الداخلى للدولة السورية".[2]

وهكذا يمكن القول بأن اليهود لم يكونوا سبباً فى ضعف الدولة السلوقية، بل أنهم استغلوا حالة الضعف التى كانت عليها الدولة فى تحقيق مآربهم،[3] وقد واتتهم الفرصة حينما استعر الصراع على العرش السلوقى، وهو الصراع الذى عرفته الدولة بعد انقضاء عصر الملوك الأقوياء، وكان آخر هؤلاء الملوك الأقوياء الملك أنطيوخس الرابع إيبفانيس *Epiphanes*، وقد مر هذا الصراع بعدة مراحل يمكننا تقسيمها على النحو التالى:

(1) Schurer Emil, The history of the Jewish people in the Age of Jesus Christ. A new Englis version revised and edited by Geza vermes and Fergus Miller. Edinburgh. (1973). pp. 182, 189.

(2) Schurer Emil., op. cit., pp. 206-7.

(3) يقول تشيركوفر أن المائة عام التى إنقضت من حياة الشعب اليهودى مابين الثورة المكابية ومجئ بومبى شهدت أياما حاسمة فى تاريخ هذه الأمة، فقد تحققت الأمانى القومية وانتشر اليهود فى كافى أرجاء فلسطين وأقاموا دولة قومية، أنظر:

Tcherikover. V., op. cit., p. 235.

١ ــ ديمتريوس الأول سوتير ــ الإسكندر بالاس	عام ١٥٣ــ١٥٠
٢ ــ الإسكندر بالاس ــ ديمتريوس الثانى	عام ١٤٨ــ١٤٥
٣ ــ ديمتريوس الثانى ــ أنطيوخس السادس	عام ١٤٣
٤ ــ تريفون ــ ديمتريوس الثانى	عام ١٤٣ــ١٤٠
٥ ــ تريفون ــ أنطيوخس السابع	عام ١٤٠ــ١٢٩
٦ ــ ديمتريوس الثانى الإسكندر زابيناس	عام ١٢٩ــ١٢٦
٧ ــ الإسكندر زابيناس ــ جروبوس	عام ١٢٦ــ١٢٢
٨ ــ جروبوس ــ الكوزيكى	عام ١٢٢ــ١١١

والآن فإننا نتناول هذه المراحل الثمانى من الصراع على العرش السلوقى بالتفصيل، ونحاول أن نتتبع دور اليهود فى كل مرحلة على حدة.

١ ـ ديمتريوس الأول سوتير *Demetrius I. Soter*

الإسكندر بالاس *Alexander Balas*

كان ديمتريوس يعيش فى روما. باعتباره أحد الرهائن الذين تسلمتهم روما من أنطيوخس الثالث طبقاً لبنود صلح أباميا، وكان يتطلع إلى اعتلاء العرش السلوقى، وهو الحق الذى سلبه إياه عمه أنطيوخس الرابع عندما اختار بدلا منه ابنه أنطيوخس الخامس لولاية العهد، وعندما وصلت إلى روما أنباء وفاة أنطيوخس الرابع، سارع ديمتريوس إلى مجلس السناتو طالباً مساعدته فى اعتلاء العرش السلوقى،[١] ولم يبد السناتو حماساً لتلبية طلبه، لأن الأحوال المضطربة فى الدولة السلوقية تلائم السياسة الرومانية، التى كانت ترمى إلى إبقاء الدولة السلوقية فى حالة تفكك، ولم يكن يرضيها وجود ديمتريوس على العرش السلوقى.[٢]

قرر ديمتريوس أن يأخذ زمام المبادرة فى يده، ونجح فى الهرب من روما بمساعدة صديقة المؤرخ المشهور بولبيوس *Polybios*، الذى كان بدوره رهينة فى روما، وعندما نزل فى سوريا لقى ترحيباً من الجميع، وتمكن من اعتلاء العرش فى عام ١٦٢ مما أثار غضب الرومان، فقرروا وضع العراقيل أمامه، من خلال تشجيع حركات التمرد فى الدولة السلوقية.[٣]

---

(1) Bevan. II. op. cit., p. 188.

(2) Polybios. XXXI, 12.

(3) مثل حركة التمرد التى قام بها تيمارخوس *Timarchus* للاستقلال بولاية ميديا عن الدولة السلوقية *Diod. XXXI. 27a.*

وفى جودايا *Judaea*[١] كان الصراع على أشده بين اليهود المتأغرقين الذين قبلوا الأخذ بالحضارة الإغريقية، ومعسكر اليهود المتشددين الذين رفضوا الأخذ بهذه الحضارة، وتمسكوا بعقيدتهم، وقد تزعم هذا الرفض أحد رجال العائلة الحشمونية ويدعى متاتيا *Mattatia*، واستمرت الثورة من بعده تحت قيادة ابنه يهوذا *Judas* الملقب بالمكابى *Macabaeus*، وبعد أن أرتقى ديمتريوس العرش هرع إليه الياكيم *Alcimus*، أحد زعماء اليهود المتأغرقين يشكو إليه سوء معاملة يهوذا المكابى،[٢] وكان يهوذا المكابى وأتباعه قد اضطهدوا اليهود المتأغرقين وقتلوا عددا منهم وطردوا البعض الآخر من البلاد، ولما كانت السلطة المركزية فى أنطاكية تعتبر اليهود المتأغرقين حلفاء لها، فقد عمل الملك على أنصافهم، وأصدر قرارا بتعيين الياكيم فى منصب الكاهن الأكبر لهيكل أورشليم،[٣] وقد اعتبر اليهود هذا القرار مخالف للشرعية، لذا قام

---

(1) نتفق مع د/ عبد الوهاب المسيرى فى استخدام كلمو جودايا فى العربية كترجمة لكلمة *Judaea*، بدلا من كلمة بلاد اليهود أو إمارة يهودية التى تستخدمها بعض المراجع العربية، أنظر على سبيل المثال:

سيد الناصرى: الشرق الأدنى فى العصر الهللينستى. القاهرة (١٩٨٨)، ص ٢٥٩.

راجع أيضاً: عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٤، القاهرة (١٩٩٩)، ص ١١٧.

(2) Schurer, op. cit., pp. 168-9.

(3) جاء ذلك فى الكتاب الأول والثانى من كتب المكابيين، أنظر:

1 Macc. 7: 5-9, 2 Macc. 14: 3-10.

بينما يذكر المؤرخ جوزيفوس أن الياكيم كان قد عين فى منصب الكاهن الأكبر فى عهد الملك أنطيوخس الخامس يوبانور *Eupaor*، أنظر: Joseph .. Ant XII 9, 7 (385)

يلاحظ القارئ أننا نعتمد فى كثير من مواضع هذا البحث على الكتابين الأول والثانى للمكابيين، وكذلك كتابات المؤرخ اليهودى جوزيفوس، وفيما يتعلق بالكتابين الأول والثانى للمكابيين فإنه على الرغم من الاسم المشترك للكتابين فإنهما مختلفان كل الاختلاف، ويغطى الكتاب الأول، الفترة ما بين عامى ١٧٥ــ١٣٥، ونحن لا نعرف مؤلفه، وربما كتبت النسخة الأولى بالآرامية أو العبرية ثم ترجمت إلى الإغريقية، ويتحدث هذا الكتاب عن إنجازات المكابيين فى مقاومة الحكم السلوقى، أما الكتاب الثانى فإنه يغطى فترة زمنية أقصر ومن المرجح أن

ديمتريوس بإرسال جيش لتنفيذ قراره بالقوة إذا تطلب الأمر ذلك. أما الياكيم الكاهن الأكبر الجديد فقد انتقم من معارضيه، وأعدم ٦٠ منهم.

فى عام ١٦٠ تمكن يهوذا المكابى من إلحاق الهزيمة بالجيش الذى أرسله ديمتريوس، وكان تحت قيادة نيكانور *Nicanor*، وقتل هذا القائد، وظل اليهود يحتفلون بيوم ١٥ آذار (مارس) باعتباره عيداً قومياً، وهو اليوم الذى شهد هذا الحدث. وقد دفعت نشوة الانتصار يهوذا المكابى إلى التفكير فى الحصول على المزيد من المكاسب، ومن خلال الاتصال بالرومان والحصول على تأييدهم،[١] وقد سببت هذه الخطوة انزعاجاً بالغاً للملك السلوقى، فبادر بإرسال جيش آخر بقيادة باكخيدس *Bacchedes*، وقد تمكن هذا الجيش بمساعدة الياكيم وأنصاره من إنزال الهزيمة بيهوذا المكابى وقتله.[٢]

كاتبه من يهود الشتات Diaspora من قورينى، ويقدم أوستن Austin معلومات مفصلة عن الدراسات التى تتناول هذين الكتابين، أنظر:

Austin, M., The Hellenistic World from Alexander to the Roman conquest. 2ed edition. Cambridge (2006). p. 383.

أما الدراسة التى أعدها جون بارتليت عن الكتاب الأول والثانى للمكابيين فهى الأكثر تفصيلاً حيث قدم النص وعلق عليه مع ربط ذلك كله بالظروف التاريخية التى أحاطت بهذا النص. أنظر:

Bartlett. John. R., The first and second books of the Maccabees. Cambridge (1973).

أما المؤرخ اليهودى جوزيفوس فقد ألف كتابيه، أحدهما عن تاريخ اليهود القديم *Antiquities*، والثانى عن حروب اليهود *Bel. Iud.*

(1) وافق السناتو على توقيع معاهدة صداقة بين الطرفين، تقضى بأن يقدم كل طرف المساعدة للطرف الآخر إذا تطلب الأمر ذلك 2 Macc. 8: 25-26. وسارع الرومان بإرسال رسالة إلى ديمتريوس لتحذيره من مغبة الإقدام على عمل عدائى ضد اليهود، لأنهم حلفاء للرومان 1 Macc. 8: 31-2. وشكك بارتليت فى أن الرومان قاموا بتوقيع معاهدة مع اليهود. أنظر: Bartlatt, J., op. cit., pp. 112-3.

(2) 1 Macc. 9. 1ff.; Bevan. op. cit., p. 205.

ويمكننا أن نلاحظ أن الرومان على الرغم من إبرامهم معاهدة صداقة تقضى بأن يقدم كل طرف المساعدة للطرف الآخر إذا تطلب الأمر ذلك، إلا أنهم تركوا يهوذا المكابى يواجه ديمتريوس بمفرده ولم يقدموا له المساعدة.(١) والحقيقة أنه لم تكن لدى السناتو نية للتدخل المسلح فى سوريا، ولكنه أراد فقط إحراج ديمتريوس من خلال تقديم الدعم المعنوى لأعدائه.

ويعلق شورر على انتصار باكخيدس على يهوذا المكابى وقتله إياه قائلاً أن اليهود قد تيقنوا بعد هذه الحادثة من أنه لا يمكنهم تحقيق نصر عسكرى طالما بقيت الدولة السلوقية قوية ومتحدة، وقد حملت السنوات التالية فرصة ذهبية للمكابيين تمثلت فى الصراع بين أدعياء العرش السلوقى.(٢)

بعد مقتل يهوذا المكابى تولى زعامة المكابيين شقيقه يوناثان *Jonathan*، أما الياكيم فإنه لم يهنأ بمنصب الكاهن الأكبر لفترة طويلة، فقد أصيب بالشلل ومات بعد فترة وجيزة.(٣)

والحقيقة أن ديمتريوس كان يتمتع بصفات الحاكم العظيم، ولكنه كان يعلم أن الرومان يكرهونه، لأنه تولى العرش رغما عنهم، وقد بذل ما فى وسعه للحصول على اعتراف روما به كملك للدولة السلوقي، وحتى عندما نجح فى الحصول على هذا الاعتراف فى عام ١٦٠، فإنه لم يكن يثق فى نوايا الرومان، فإنهم كما قال المؤرخ بوليبيوس *Plybius* لم يكونوا على استعداد للاعتراف بملك على العرش السلوقى ما لم يكن دمية فى أيديهم يحركونها كيفما شاؤوا.(٤)

---

(1) Cambridge Ancient History. VIII. p. 519.

من الملاحظ أن الرومان قد تصرفوا بنفس الطريقة مع تيمارخوس الذى أراد أن يستقل بمنطقة ميديا فقد اعترفوا به ملكاً ولكنهم تركوه يواجه ديمتريوس بمفرده . ولم يقدموا له المساعدة.

(2) Schurer, op. cit., p. 137.

(3) Bevan. II. p. 204.

(4) Polybios. XXXII. 4.

صدقت شكوك ديمتريوس تجاه الرومان، فإن مملكة برجامة حليفة روما التى كانت تضمر العداء للملك ديمتريوس ادعت انه يوجد شاب يدعى الإسكندر بالاس *Balas* هو الأحق بالعرش السلوقى لأنه ابن أنطيوخس الرابع. وكان هذا الشاب شديد الشبه بالملك الراحل.(١)

وجد ديمتريوس نفسه فى موقف لا يحسد عليه، فقد كان مكروها فى الداخل، أما فى الخارج فكان محاطاً بالأعداء من كل جانب، وكانت علاقته سيئة بمملكة البطالمة فى مصر، وكل من مملكة برجامة وكبادوكيا فى آسيا الصغرى، أما الرومان فكانوا يحركون الموقف من وراء الستار، فشجعوا برجامة على دعم الإسكندر بالاس، وفى عام ١٥٣ـ١٥٢ أصدر السناتو قراراً يقضى بالاعتراف بأحقية الإسكندر بالاس فى تولى العرش السلوقى.(٢)

بدأ الإسكندر بالاس فى الإعداد لدخول سوريا معتمداً على تأييد روما ومصر، إضافة إلى مملكتى برجامة وكبادوكيا، وتمكن من النزول بقواته فى عكا، وعندئذ أدرك ديمتريوس خطورة العزلة التى فرضها على نفسه، وخشى من انضمام اليهود إلى عدوه، فسارع بالاتصال بيوناثان، ووعده بإغداق الكثير من الامتيازات عليه، وسمح له بتكوين جيش حتى يكون قادراً على تقديم العون له، كما وافق ديمتريوس على تسليم الرهائن اليهود الذين تحتجزهم الدولة فى قلعة أورشليم، وعلى الفور قام يوناثان بنقل مقر قيادته إلى أورشليم،(٣) ودخل المدينة بشكل رسمى، وعمل على تقوية حصون أورشليم والهيكل، إضافة إلى ذلك فإن الحاميات التى تركها باكخيديس فى النقاط المهمة تم سحبها، فيما عدا حاميتى بيت ـ سور *Bet-Zur* وحامية أورشليم،(٤) ومما

(1) Bevan., II. op. cit., p. 207.

(2) Polybios. XXXIII. 118.

(3) Russel. D. S., The Jews from Alexander to Herod. Oxford. (1967). p. 54.

(4) 1 Macc. 10: 1-14; Joseph. Ant. XIII. 2, 1 (37-42).

هو جدير بالذكر أن قلعة بيت سور كانت تمثل أهمية خاصة، لأنها كانت تعد ملاذا لليهود المتأغرقين.(١)

ولم يكن الإسكندر بالاس أقل سخاء من ديمتريوس، فى المزاد الذى أقامه اليهود بين المتنازعين على العرش، لذا فقد سارع بتعيين يوناثان فى منصب الكاهن الأكبر فى أورشليم،(٢) وأرسل له عباءة أرجوانية، وإكليلاً كدليل على مكانته الرفيعة. ولم يكن يوناثان أقل سرعة فى الاستفادة من هذا العرض، ففى الاحتفال الذى أقيم فى خريف عام ١٥٣ ارتدى الزى المقدس، مما يعنى أنه أصبح زعيماً للشعب اليهودى، وقام بطرد كل اليهود المتأغرقين من الإدارة فى جودايا.(٣)

ولم يكن من المتوقع أن يقف ديمتريوس ساكناً، فراح يزايد على الإسكندر بالاس، ووعد بأن يطلق سراح الأسرى اليهود فى كل أنحاء المملكة، كما قرر إهداء مدينة بتولميس *Ptolemais* (عكا) لكى تكون من أوقاف هيكل أورشليم، ووعد بأن يقدم للهيكل هبة سخية، وأن يقوم بتجديد مبنى الهيكل وأسوار أورشليم على نفقة الدولة، كما ورد فى نص الكتاب الأول للمكابيين،(٤) ولكن شورر *Schurer* يشكك فيما ورد فى هذا النص، ويرى أن مؤلف الكتاب الأول للمكابيين قد خلط بين تلك الأحداث وأحداث أخرى وقعت فى فترة تالية.(٥)

---

(1) C. A. H. XIII. P. 523.

عن أهمية قلعة بيت سور. أنظر:

Solares. O. R., The Citadel & Beth-Zur. Philadelphia. (1933).

(2) Tran. W., op, cit., p. 217.

(3) Schurer, op. cit., p. 178.

إن قبول يوناثان لعرض الإسكندر بالاس يخالف الشريعة اليهودية، لأن هذا يعنى أن يجمع يوناثان ما بين القيادة الدينية والسياسية.

(4) 1 Macc. 10: 22-42.

(5) أورد شورر الكثير من الأسانيد التى أعتمد عليها فى تشكيكه فى هذا التفسير. أنظر:

وعلى أية حال فإن يوناثان كان على قدر كبير من الذكاء، فقد أدرك أن إسراف ديمتريـــوس فى تقديم الوعود إنما كان تحت ضغط الحاجة، وإنه إذا ما تحقق له النصر سوف يتملص من كل هذه الوعود، لذلك فقد قرر أن يأخذ جانب الإسكندر بالاس، على الرغم من كونه أبنا لأنطيوخس الرابع، العدو اللدود لليهود، لهذا السبب فإن المصادر اليهودية القديمة وصفت يوناثان بأنه الكاهن الشرير.(١) ومن ناحية أخرى فإن يوناثان رأى أن اليهود من الممكن أن ينعموا بالراحة فى ظـــل ملك ضعيف هو الإسكندر بالاس بشكل أفضل من أن يكونوا خاضعين لديمتريوس الذى خبـــروه من قبل، وعرفوا مدى شراسته.(٢)

أدى تأييد اليهود للإسكندر بالاس إلى تمكنه من السيطرة على فلســطين، وتحـــرج موقـــف ديمتريوس بعد أن انفض من حوله الجميع، كما أن بطلميوس السادس فيلوميتور ملك مصر لـــم يدخر وسعاً فى تقديم الدعم للإسكندر بالاس، وعرض عليه يد ابنته كليوباتره ثيا *Thea*، وانتهى الأمر بأن لقى ديمتريوس حتفه فى معركة مع قوات الإسكندر بالاس فى عام ١٥٠.(٣)

كتب الإسكندر بالاس إلى يوناثان بأنه ينوى الاستفادة من الصداقة الجديدة معه فى الحصـــول على جنود جدد "وأننى أنوى بالإضافة إلى ذلك أن يكون من بين جنود الملك ثلاثـــة آلاف مـــن اليهود، الذين سأقوم بدفع رواتبهم، لكى يكونوا من قوات الملك، وسوف يكون من بينهم من يخدم فى الحرس الملكى، بينما يوضع آخرون منهم لخدمة شئون المملكة، وسوف يكونون موضع ثقة،

Schurer, op. cit., p. 178: n. 14.

(1) Russell., op. cit., p. 54.

جاء هذا الوصف ليوناثان فى مخطوطات البحر الميت. عن هذه المخطوطات. أنظر:

Bartlett. J., op. cit., p. 12.

(2) C. A. H. VIII. p. 523.

(3) Joseph. Ant. XIII.. 2, 4 (58-6); Bevan. II., op. cit., p. 211.

على الرغم من أن ديمتريوس كان قد حصل على إعتراف الرومان فى عـــام ١٦٠، وأنـــه بـــذل الكثيـــر لكـــى يسترضيهم إلا أنهم تركوه يسقط.

ويكون المشرفون[1] عليهم منهم. ويعيشون طبقاً لشرائعهم حتى لو كان الملك يقودهم فـى أرض جوديا".

ويرى جريفيث *Griffith* أن خطورة هذا الأمر تكمن فى أن هؤلاء الجنـود اليهـود كـانوا يخضعون لقادة منهم وأن ذلك يشكل خطراً على الدولة.[2]

بعد مقتل ديمتريوس أصبح الإسكندر بالاس ملكاً منفرداً، وفى الحفل الذى أقـيم فـى مدينـة بطولميس لزواج الإسكندر بالاس من كليوباترة ثيا ابنة بطلميوس السـادس فيلوميتـور شـارك يوناثان فى هذا الحفل وأحضر هدايا قيمة للعروسين، وفى أثناء الحفـل كـان يرتـدى العبـاءة الإرجوانية التى خلعها عليه الملك الجديد، وكان الطرف الخاسر فى هذه الظروف الجديـدة هـم اليهود المتأغرقون، الذين حاولوا أن يشرحوا قضيتهم للملك إلا أنه أصم آذانه عنهم ولم يعـرهم إلتفاتاً، ووجه جل اهتمامه إلى يوناثان، فخلع عليه الكثير من مظاهر التكريم، ورفعه إلى درجـة الصديق الأول للملك،[3] كما قرر أن يسبغ عليه وضعاً رسمياً، بأن منحه لقـب "قائـد عـسكرى وحاكم" σιρατηγός καὶ μεριδάρχης،[4] وهكذا خفى ظل حكم الإسكندر بالاس أصـبح

(1) 1 Macc. 10. 36-38.

(2) Griffith. G. T., The Mercenaries of the Hellenistic World. Cambridge. (1968), p. 167.
ولهذا فإن أنطيوخس السادس فيما بعد رفض قبول ٢٠٠٠ جندى يهودى أرسلهم إليه شمعون إنظر:
1 Macc. 15. 26

(3) كان هذا اللقب من أرفع الألقاب التى كان يغدقها الملك على بعض الأفراد عن رعاياه، وكان يمنح حـاملى هـذا اللقب ملابس أرجوانية وهو تقليد فارسى ومقدونى، وعندما كان يتم تجريد الشخص من لقبه كان يتم تمزيق هذه الملابس علانية. أنظر:
بيكرمان. ى: الدولة السلوقية. ملوك سوريا، السلوقيون، تعريب: حسان أسحق، دمشق (١٩٩٣). ص ٤٠، ٤١.

(4) 1 Macc. 10. 59.

الكاهن الحشمونى يحكم بشكل مطلق. ولكن ينبغى أن نلاحظ أنه على الرغم من الامتيازات التى أغدقها الإسكندر بالاس على يوناثان، فإن الحامية السلوقية ظلت مرابطة فى قلعة أورشليم.[١]

٢ ـ الإسكندر بالاس *Alexander Balas*

ديمتريوس الثانى *Demetrius II*

بينما كان الإسكندر بالاس ينعم بالسلطة الملكية، كان يعيش فى آسيا الصغرى أبنان للملك السابق ديمتريوس، كان قد جرى تهريبهما فى المراحل الأخيرة للصراع بين والدهما والإسكندر بالاس، وفى عام ١٤٧ وصل أكبرهما الذى كان يدعى ديمتريوس أيضا إلى سن الرابعة عشرة، ورأى مناصروه أن الوقت قد حان للإعلان عن حقه فى ارتقاء العرش السلوقى،[٢] والحقيقة أن الإسكندر بالاس أثبت أنه لم يكن أهلاً للعرش، فقد أنغمس فى الملذات،[٣] وكان ألعوبة فى يد وزيره أمونيوس *Ammonios*، الذى اتسم بالوحشية ومارس انتقاما بشعاً من أنصار الملك السابق ديمتريوس وعائلته، مما أدى إلى نفور الناس منه ومن سيده.

أدت الظروف التى أحاطت بنظام الحكم آنذاك إلى تمهيد الطريق أمام الشاب الصغير ديمتريوس المطالب بالعرش، الذى قام بتجميع جيش من المرتزقة وفى عام ١٤٧ نزل فى شمال سوريا، ولكن خطراً آخر داهمه فى جنوب المملكة، ويتمثل فى إعلان أبوللونيوس *Apollonios* حاكم جوف سوريا ولاءه لديمتريوس، وتأييده لحقه فى اعتلاء العرش.[٤] وقد شايعت هذا الحاكم

(1) Schurer. op. cit., p. 118. n. 16.

(2) Bevan. II. op. cit., p. 215.

(3) Diod. XXXII. 27, 9c.

(4) C. A. H. VIII. p. 524.

فى موقفة المدن الفلسطينية المتأغرقة، لأنها كانت حانقة على الإسكندر بالاس بسبب دعمه لليهود.(١)

وبناء على طلب الإسكندر بالاس قام يوناثان بالتصدى لحاكم جوف سوريا، وتمكن من الانتصار عليه، وقام بطرد الحامية التابعة له من مدينة يافا *Jappa*، لم يلبث أن هزم جيشاً بقيادة أبوللونيوس عند مدينة أشدود *Azotos*، ودمر المدينة، وهدم معبدها على رؤوس الذين احتموا به من السكان، وعاد إلى أورشليم مثقلاً بالغنائم.(٢) وعندما سمع الإسكندر بالاس بتلك الأنباء قرر مكافأة يوناثان، بأن رفع درجته إلى رتبة قريب الملك، كما أعطاه مدينة عقرون *Ekron* والمناطق المحيطة بها.(٣)

والحقيقة أن يوناثان فى هذه الظروف كان هو الوحيد الذى كان يقف فى صف الإسكندر بالاس، فإن سكان أنطاكية كانوا يكرهونه، كما أن جنوده تمردوا عليه، وأعلنوا تأييدهم لديمتريوس، بسبب استعانته بالجنود اليهود على حسابهم. مما أدى إلى شعورهم بالإهانة،(٤) كما أن بطلميوس فيلوميتور ملك مصر نفض يديه من التحالف مع الإسكندر بالاس، وأعلن تأييده لديمتريوس، وعرض عليه يد ابنته كليوباتره ثيا زوجة الإسكندر بالاس، والتى كانت فى معية أبيها.(٥)

ولم يلبث فيلوميتور أن أقتحم الحدود السورية على رأس جيشه، بينما اتجه أسطوله إلى سواحل سوريا، وفى أشدود حدثه أهلها عما فعله بهم اليهود، لذلك سارع يوناثان إلى مقابلة الملك

(1) Bevan. II. op. cit., pp. 216-18.

(2) 1 Macc. 10: 67-87; Joseph. Ant. XIII. 4, 3-4.

(3) 1 Macc. 10: 88-9; Joseph. Ant. XIII. 4, 4 (102)
يرى جوزيفوس أن الإسكندر بالاس أراد بهذه المكافأة أن يبدو وكأنه يكافئ أحد رجاله على حسن أدائه.

(4) Griffith.. op. cit., p. 168.

(5) Diod. XXXII 27, 9c.

البطلمى فى يافا، وصحبه حتى نهر اليوثيروس *Eleutheros* (نهر الكبير الشمالى) الذى يشكل حدود إقليم جوف سوريا من الشمال؛ وعندما تناهت إلى بالاس أخبار الاستقبال الذى لقيه فيلوميتور من المدن السورية، راودته فكرة أن الملك البطلمى قد يفكر فى الاستيلاء على المملكة بأسرها، ومن ثم دبر وزيره أمونيوس *Ammonios* مؤامرة لاغتيال فيلوميتور، وعندما تكشفت خيوط المؤامرة طلب الملك البطلمى من بالاس أن يسلمه هذا الوزير المتآمر، ولكن بالاس رفض، مما أدى إلى انحياز فيلوميتور إلى جانب ديمتريوس، الذى رحب بذلك.(١)

عندما ضاقت الحلقة حول الإسكندر بالاس فر من أنطاكية، وعهد بابنه إلى أحد شيوخ العرب، وتمكن بطلميوس فيلوميتور من إنزال الهزيمة بالإسكندر الذى لقى حتفه، وأصبح الطريق ممهداً أمام ديمتريوس لارتقاء العرش، أما بطلميوس فيلوميتور فقد لحق بالإسكندر بالاس بعد فترة وجيزة متأثراً بجرح أصيب به. ومن ناحيته فإن يوناثان لم يضع وقتاً فاستغل فرصة الصراع بين الإسكندر بالاس وديمتريوس على الوجه الأكمل، وساعده على ذلك المكانة التى حصل عليها فى عهد بالاس، فراح يعمل على تحقيق الاستقلال الكامل عن الدولة السلوقية، فضرب حصاراً حول قلعة أورشليم التى كانت توجد بها حامية سورية، ويذكر الكتاب الأول للمكابيين أن فئة من معارضى يوناثان من اليهود، الذين أطلق عليهم هذا الكتاب لقب الخارجين على القانون هو ἄνομοι أو ἄνδρεσ παράνομοι هم الذين لفتوا نظر الملك الجديد إلى خطورة ما يقوم به يوناثان.(٢)

قام ديمتريوس الثانى على الفور باستدعاء يوناثان لكى يقابله فى بطولميس، ولم يكترث يوناثان بالأمر، وطلب من رجاله الاستمرار فى حصار القلعة، ثم اتجه بعد ذلك إلى بطولميس

(1) مفيد العابد: المرجع السابق. ص ١٣٣.

(2) 1 Macc. 11: 21-25.

مصطحباً معه بعض كبار اليهود والكهنة، كما حمل معه هدايا قيمة للملك.[١] وتمكن من اكتساب الملك إلى جانبه، وأقنعه بأن يطوى صفحة الماضى حين آذر يوناثان وقومه عدوه اللدود الإسكندر بالاس، وكان من نتيجة ذلك أن أعترف ديمتريوس بكل الامتيازات التى يتمتع بها يوناثان، بل زاد على ذلك بأن ضم إلى جودايا ثلاث مناطق من جنوب السامرة، ووافق على إعفائها من الضرائب.[٢] إلا أننا نلاحظ أنه لم يرد فى هذا الاتفاق ذكر لقلعة أورشليم، ويرجح شورر أن هذه الامتيازات كانت ثمنا لموافقة يوناثان على رفع الحصار عن قلعة أورشليم؛[٣] ومنذ ذلك الحين أصبحت العلاقة ما بين ديمتريوس الثانى واليهود طيبة، وتم إرسال قوة من اليهود لكى تكون جزءاً من الحرس الملكى فى إنطاكية.[٤]

ساعدت الظروف يوناثان فى الحصول على مكانة أكبر فى البلاط السلوقى، فقد أدت السياسة التى اتبعها الوصى على ديمتريوس الثانى، والتى تقوم على الاعتماد على المرتزقة إلى إثارة سخط القوات النظامية،[٥] وتعاطفت معها جماهير أنطاكية، وأدى ذلك إلى وقوع اضطرابات فى العاصمة، لم تلبث أن تحولت إلى ثورة شاملة، واندفعت الجماهير الغاضبة لمحاصرة القصر الملكى، فتصدى لهم المرتزقة، وأضرموا النيران فى المبانى التى تحصن بها الأنطاكيون، واشتعل جانب من المدينة،[٦] عندئذ شعر ديمتريوس بالخطر الذى يحدق به، فأرسل يطلب المساعدة من يوناثان، وانتقى هذا الأخير ثلاثة آلاف من أشرس مقاتليه الذين تمرسوا فى "حروب

---

(1) Russell. op. cit., p. 55.

(2) 1 Macc. 11: 28-37.

(3) Schurer. op. cit., p. 182.

(4) C. A. H. VIII. p. 525.

(5) Griffith., op. cit., p. 169.

(6) Joseph. Ant. XIII. 129ff.

مفيد العابد: المرجع السابق. ص ١٣٥–١٣٦.

الرب"، كما تذكر المصادر اليهودية، وتمكن الجنود من إخماد ثورة الأنطاكيين، وعادوا محملين بالغنائم التى كسبوها من تلك المدينة الكبيرة "الكافرة"، وحدثوا أهلهم عن سعادتهم الغامرة وهم يطاردون أهل أنطاكية فوق أسطح المنازل، ويوسعونهم ذبحاً، ويذكر الكتاب الأول للمكابيين أن مائة ألفا من سكان إنطاكية قد جرى ذبحهم على يد اليهود وحدهم.(١)

سيطرت حالة من الرعب على سكان أنطاكية بعد إخماد الثورة، ويذكر ديودور أن عدداً كبيراً من سكان المدينة هجروها، وتفرقوا فى أنحاء سوريا، وباتوا يحلمون بالخلاص من هذا الملك.(٢) ولم يطل انتظارهم كثيراً فإن ديودوتوس *Diodotos* الذى كان حاكماً لأنطاكية فى عهد الإسكندر بالاس كان على دراية بما يحدث فى المدينة، فانتهز فرصة مشاعر السخط، التى عمت إنطاكية ضد ديمتريوس، وسارع بإحضار أبن الإسكندر بالاس، الذي كان أمانة لدى أحد شيوخ العرب، وأعلن أحقيته فى تولى العرش السلوقى،(٣) ومما هو جدير بالذكر أن ديودرتوس حمل لقب تريفون *Tryphon* فيما بعد واستخف ديمتريوس بتريفون، ونظر إليه باعتباره أحد الخارجين عن القانون، وأرسل قوة لإلقاء القبض عليه، ولكنه لم يلبث أن أدرك مدى خطورة الموقف، وعندما وقع الصدام الحاسم بين الطرفين فقد هُزم ديمتريوس وفر إلى مدينة سلوقيه على مصب نهر العاصى، ودخل تريفون ومعه الملك الصغير أنطاكية، وأصبح تريفون وزيراً للملك الجديد أنطيوخس السادس، ولكن ديمتريوس ظل مسيطراً على المناطق الساحلية.(٤)

---

(1) 1 Macc. 11. 41ff.; Bevan., op. cit., p. 225.

(2) Diod. XXXIII, 4, 3f.

داونى. جلانفيل: المرجع السابق. ص ٨٧.

(3) Bevan., op. cit., p. 226.

(4) مفيد العابد: المرجع السابق. ص ١٣٦.

٣ ـ ديمتريوس الثانى *Demetrius II*
أنطيوخس السادس *Antiochus VI*[١]

أصبحت الدولة السلوقية منقسمة بين سلطتين، وسعى الطرفان إلى استمالة اليهـود، فـأعلن أنطيوخس السادس اعترافه بكل الامتيازات التى حصل عليها يوناثان فى عهد الملك ديمتريـوس الثانى، كما أعلن تعيين شقيقه شمعون *Simon* حاكما *Strategos* على المنطقة التى تمتـد مـن منحدرات صور κλιμαχ τυ/ρου حتى الحدود المصرية فى الجنوب.[٢]

رأى يوناثان أنه من الأفضل له أن ينحاز إلى جانب أنطيوخس السادس، ويبدو أنه فقد الثقـة فى ديمتريوس، لأن هذا الأخير بعد أن قدم له يوناثان المساعدة فى إخماد ثورة أنطاكية، وبعد أن أطمأن على عرشه تراجع عن الوعود التى قطعها على نفسه لصالح يوناثان، ويقول الكتاب الأول للمكابيين "ولكن الملك ديمتريوس عندما أصبح آمنا على عرشه، وأن البلاد بأسرها هادئة تحـت سلطته، تراجع عن كافة وعوده وقطع علاقته مع يوناثان، وبدلا من أن يرد له الجميل الذى قدمه له، أخذ يمارس ضغوطا قاسية ضده".[٣]

وبناء على القرار الذى اتخذه يوناثان بأن ينحاز إلى جانب انطيوخس السادس،[٤] فإنـه بـدأ باتخاذ خطوات عملية، فقام بالتعاون مع شقيقه شمعون بعمليات عسـكرية لإخضـاع المنـاطق

---

(1) كان أنطيوخس السادس مجرد طفل لا حول له ولا قوة، وكانت السلطة فى يد تريفون، ولكن من الناحية الشكلية فإن هذا العهد هو عهد أنطيوخس. 1 Macc. 11. 54.

(2) 1 Macc. 11. 59.
منحدرات صور هى الطريق المحصورة بين البحر والجرف الصخرى عند رأس الناقورة وهى المنطقـة التـى تمثل الحدود الحالية بين لبنان وفلسطين. أما حدود مصر فهى وادى العريش. أنظر:
Bartlett, op. cit. p. 160.

(3) 1 Macc. 11. 52-53.

(4) Schurer. op. cit., p. 183.

المتاخمة لجودايا لحساب أنطيوخس، وكانت البداية باتجاه المناطق التى عـين شـمعون حاكمـا عليها، وقاد يوناثان حملة للاستيلاء على عسقلان وغزة، وفى حين استسلمت عسقلان طواعيـة، فإن الاستيلاء على غزة تطلب جهداً كبيراً، ولم يلبث يوناثان أن تقدم شـمالاً صـوب الخليـل، وحارب أحد رجال ديمتريوس وانتصر عليه، وفى نفس الوقت حاصر شمعون قلعة بيـت سـور *Beth-Zur* فى جنوب جودايا، وكانت حاميتها تدين بالولاء لديمتريوس، ووضع بدلا منها حامية من اليهود.[١]

لم يقنع يوناثان بالمكانة التى حصل عليها على الصعيد المحلى، بل أخذ يسعى إلى الحصـول على مكانة دولية، فسعى إلى إحياء العلاقة التى أقامها شقيقه يهوذا المكابى مع الرومان،[٢] كمـا أرسل بعثة إلى أسبرطه ودول أخرى لنفس الغرض،[٣] وحرص يوناثان فى الرسالة التى بعـث بها إلى أسبرطة على التأكيد على أن العلاقة بين أسبرطه واليهود هى علاقة قديمة، ترجع إلـى عهد الملك الأسبرطى أريوس *Areus* الذى أرسل رسالة صداقة إلى الكاهن الأكبر حونيا.[٤]

وبعد عودته إلى أورشليم رأى يوناثان أن يعمل على تقوية حصون المدينة، فأقام سورا عالياً يقطع الطريق ما بين الحامية السورية فى قلعة أورشليم وباقى المدينة، وكان شمعون قد وضـع حامية فى قلعة يافا *Joppa*، كما أقام العديد من التحصينات فى غرب جودايـا. ومـن الناحيـة الرسمية فإن كل هذه الأعمال التى قام بها يوناثان كانت باسم الملك الطفل أنطيـوخس السـادس والوصى عليه تريفون، ولكن هذا الأخير بدأ ينظر إلى تعاظم قوة اليهود بقدر كبير مـن الشـك،

---

(1) 1 Macc. 11. 65-6; Joseph. Ant. XIII. 5, 6 (155-7).

(2) Ressall., op. cit., p. 56; Joseph. Ant. XIII. 5, 6 (155-7)

(3) 1 Macc. 12: 1-4.

(4) يرى بعض الباحثين أن ما ذكر عن هذه البعثة لا يستند إلى أسس تاريخية، وأنه حدث خلط ما بين هـذه البعثـة وتلك التى أرسلت فى عهد شمعون، وهناك فريق آخر يرى أن هذه البعثة ذهبت فى عهد يوناثان وعـادت فـى عهد شمعون، وأن ذلك هو الذى أدى إلى حدوث هذا اللبس. أنظر: Schurer. op. cit., p. 184. n. 31.

فإنه كان منذ البداية يتوجس خيفة من طموحات الزعيم اليهودى، ويحاول الكتاب الأول للمكابيين أن يضفى مسحة أخلاقية على يوناثان من خلال القول بأن النفور بين تريفون ويوناثان يرجع إلى أن تريفون كان يخطط لاغتصاب العرش وقتل الملك الصغير، وأنه كان خائفا من أن يوناثان سوف يمنعه من الأقدام على هذا العمل.[١] غير أن شورر يرى أن يوناثان لم يكن يتمتع بهذا الحس الأخلاقى، وأن دوافعه كانت سياسية محضة.[٢]

رأى تريفون أن الوقت قد حان لتحجيم دور القوة العسكرية لليهود، فتوجه على رأس جيش إلى فلسطين، حيث التقى مع يوناثان عند سكيثوبوليس *Scythopolis*، (بيسان) وأقنعه بأن يعيد جيشه إلى أورشليم. لكى يذهب معه إلى بطولميس (عكا) حتى يجرى معه مباحثات حول تسليم المناطق التى تم تعيين شقيقه شمعون حاكما عليها، وأنتشى يوناثان بهذه الوعود، وصدق تريفون، وتوجه إلى عكا ومعه ألف من رجاله فقط، وما أن دخل حتى أغلقت أبواب المدينة وأعمل جنود تريفون سيوفهم فى رقاب مرافقى يوناثان، وتم إلقاء القبض عليه.[٣]

أثارت هذه الأخبار هلعاً فى أوساط اليهود عندما وصلت إلى أورشليم، وقرروا اختيار شمعون ليحل محل شقيقه الأسير، وعلى الفور بادر القائد الجديد إلى تدعيم حصون أورشليم،[٤] وأرسل قوة إلى يافا التى لم يكن يثق فى مشاعر أهلها تجاهه، ومما هو جدير بالذكر أن هذه المدينة لم تكن من الممتلكات اليهودية فى الأصل، ولكنه قام بطرد سكانها من غير اليهود، وعمل على إضفاء الطابع اليهودى عليها، وإلحاقها بالمناطق اليهودية.[٥]

---

(1) 1 Macc. 12: 39-41.

(2) Schurer. op. cit., p. 186.

(3) 1 Macc. 12: 48.

(4) Bevan., op. cit., p. 329.

(5) Schurer., .op. cit., p. 187.

تقدم تريفون بقواته فى جودايا مصطحبا معه أسيره، وتصدى له شمعون بالقرب من مودعين *Modin*، وقدم تريفون عرضاً يقضى بالإفراج عن يوناثان، بعد الحصول على ألف تالنت من الفضة، وإرسال ابنى يوناثان لكى يكونا رهينة لديه، وعلى الرغم من إعلان شمعون أعلن قبوله لهذه الشروط إلا أن تريفون حنث بوعده، وقام بمحاولة لاقتحام أورشليم من الجنوب، بهدف إنقاذ جنود الحامية الذين كانوا فى حالة مزرية بسبب نقص الغذاء، نظراً للحصار المضروب حولهم من مدة طويلة، وفشل تريفون فى إنقاذهم بسبب سوء الأحوال الجوية، وسقوط كميات كبيرة من الجليد، مما اضطر الحامية إلى الاستسلام.(١) مما أثار حفيظة تريفون فأمر بقتل يوناثان فى منطقة تقع على الضفة الشرقية لنهر الأردن، وقفل عائداً مع قواته فى عام ١٤٣، وقد تمكن شمعون فيما بعد من الحصول على رفات شقيقه، وقام بدفنه إلى جوار والده وأشقائه فى بلدتهم مودعين، وأقام نصبا تذكاريا فخماً فوق قبر يوناثان.(٢)

بعد عودة تريفون إلى أنطاكية توفى الملك الصغير إثر عملية جراحية أجريت له، وأشارت أصابع الاتهام إلى تريفون، متهمة إياه باغتيال الملك الصغير للاستيلاء على العرش، وصدقت الأقاويل، إذ ما لبث تريفون أن أعلن نفسه ملكاً وأتخذ لقب الملك الحاكم *Basileus Autocrator* وسك عمله باسمه، كما اعتمد تقويماً وشعاراً جديدين للملكة بدلا من التقويم والشعار السلوقى القديم، وأخذ يسعى إلى الحصول على اعتراف الرومان، فأرسل لهم هدية ثمينة، ولكن السناتو قرر قبولها باعتبارها باسم الملك القتيل مما يعنى عدم اعتراف الرومان باغتصاب تريفون للعرش.(٣)

---

(1) Russell., op. cit., p. 57.

(2) 1 Macc. 13. 25-30; Joseph. Ant. XIII. 6, 5.

(3) مفيد العابد: المرجع السابق. ص ١٣٧ـ١٣٨.

كره اليهود تريفون لقيامه بقتل زعيمهم يوناثان، وأدى رفض الرومان الاعتـراف بـه إلـى إضعاف مركزه، مما شجع اليهود على التمرد عليه، فأعلنوا تأييدهم للملك السـابق ديمتريـوس الثانى، الذى كان ما يزال يعيش فى مدينة سلوقية على نهر العاصى، وعرضوا عليه المسـاعدة فى العودة إلى العرش.[١]

٤ ــ تريفون *Tryphon*

ديمتريوس الثانى *Demetrius II*

سعد ديمتريوس بالعرض الذى قدمه اليهود لمساعدته فى استعادة سلطته، ولكن هذا العرض لم يكن بلا مقابل، فقد طلب شمعون إعفاءً كاملاً لبلاده من دفع الجزية، ومن الناحية الواقعية فـإن ديمتريوس لم يكن يمارس سلطة فعلية على هذه البلاد، وأراد من خلال موافقته على هذا الطلـب أن يبدو وكأنه يتمتع بالسلطة ويملك قرار الإعفاء، لذلك وافق على طلب شمعون، ولـم يكتـف ديمتريوس بالموافقة على إسقاط الضرائب المتأخرة عن اليهود، بل وافق كذلك على إعفائهم مـن دفع الجزية فى المستقبل.[٢] وكانت الحامية التى توجد فى قلعة أورشليم قد استسلمت كما سـلف القول، وفى الواقع فإن هذه الحامية كانت تمثل رمزا للسيادة السلوقية على أورشليم، ولم تعد قلعة أورشليم تشكل أهمية فى تاريخ جودايا، وفى عام ١٧٠ دخل اليهود القوميون القلعة وهم ينشدون "لقد زال نير الكفار من إسرائيل".[٣]

---

(1) 1 Macc. 13. 34.

(2) Bevan., op. cit., p. 232.

(3) يرى بارتليت *Bartlett* بأن هذه العبارة ليست دقيقة لأن ديمتريوس لم يعلن موافقته على منح استقلال سياسـى بجودايا كما أن الدولة السلوقية حتى ذلك الحين كانت ماتزال تحتفظ ببعض الحاميات فى جودايا. أنظر:
Bartlett, op. cit., p. 185.

وهكذا زالت قلعة أورشليم التى كانت تمثل رمز السيادة السلوقية، وكانت الملاذ الآمن لليهود المتأغرقين، الذين كانوا يؤيدون الدولة السلوقية، ولم يعد هناك معارضة بالمرة لحكـم الأسـرة الحشمونية، كما أن إسقاط الجزية يعد اعترافا ضمنيا من ديمتريوس بتمتع اليهود بالحكم الـذاتى، ومنذ ذلك الحين أخذ اليهود فى استخدام تقويم خاص بهم، وأصبحت الوثائق تؤرخ بعهد شـمعون باعتباره كاهنا اكبر وحاكما لليهود.(١)

ˇΕτους πρώτου 'επὶ Σίμωνος ἀρχιερέως μεγαλοῦ
και στρατηγοῦ καὶ ηγουμένου 'ιουδαιων

وقد تم اكتشاف عملات فى العصر الحديث، يرى بعض الباحثين أنها ترجع إلى عهد شمعون، إلا أن فريقاً آخر من المتخصصين فى العملة اليهودية لا يتفقون معهم فى هذا الرأى، ويرون أن هذه العملات المكتشفة لا ترجع إلى عهد شمعون، وأنها سكت فى فترة لاحقة.(٢)

امتدحت المصادر اليهودية اهتمام شمعون بالنواحى الدينية، وقيامه بتحقيق العدالة والرخـاء للشعب اليهودى، وهو ما يعبر عن النص التالى "مادام شمعون حيا فإن جوديا تنعم بالسلام، ولقد نشر الرفاهية بين أبناء شعبه، الذين عاشوا فى سعادة خلال أيام حكمه المجيدة، ومن الإنجـازات الجليلة أنه استولى على ميناء يافا *Jappa*، لكى يؤمن الاتصال عبـر البحـار، وقـام بتوسـيع ممتلكات أمته، وأفرج عن عدد كبير من أسرى الحـرب دون أن يواجـه أى مقاومـة، وحقـق السيطرة على جازارا *Gazara* وبيت سور *Beth-Zur* وكذلك القلعة،(٣) وأزال عنها الدنس" ثـم يستطرد مؤلف الكتاب الأول للمكابيين فى تعداد فضائل شمعون وأياديه البيضاء على اليهود "إنهم يفلحون أرضهم فى سلام، والأرض تنتج المحاصيل، كما تعطى أشجار السهل ثمارهـا، بينمـا

(1) 1 Macc. 13. 42.

(2) أنظر الجدل الذى ثار حول تاريخ هذه العملات.

Schurer. op. cit. 190. n. 5.

(3) يقصد قلعة أورشليم.

يجلس الكهول فى الشوارع فى استرخاء، وهم يتحدثون عن الرخاء، بينما يرتدى الشباب ملابس أنيقة عليها الدروع، انه يزود المدن بالمؤن ويبنى فيها الحصون، لذلك فإن شهرته طبقت الآفاق، لقد أقام السلام فى الأرض، وعرفت إسرائيل السعادة، حيث يجلس كل رجل تحت كرمته وفى ظل شجر تين، فلم يكن هناك ما يدعو إلى الخوف، ولم يعد فى البلاد عدو لكى يحاربه، فقد تم سحق الملوك،[١] ومنح القوة للرجال البسطاء من أبناء شعبه، وطارد الأشرار والخارجين عن القانون، وأضفى بهاء على الهيكل، وأعاد تزويده بالآنية المقدسة".[٢]

وتعكس هذه الكلمات حالة الرضا التى عمت اليهود فى عهد شمعون، فقد أصبحت السلطة فى يد الحزب القومى، ولم يعد لليهود المتأغرقين أى دور، وهم الذين كانوا يمثلون المعارضة فى السابق، وكان آخر ظهور لهم على المسرح السياسى عندما مثلوا أمام الإسكندر بالاس للشكوى من سوء معاملة يوناثان لهم، ولكنه كان غارقاً حتى أذنيه فى صداقة يوناثان، فلم يعرهم التفاتاً، ولم يلبثوا أن كرروا هذه المحاولة أمام ديمتريوس الثانى، ولكنها لقيت مصير سابقتها.[٣] والحقيقة أن شمعون جنى ثمار ما غرسته أيدى أسرته، فقد حصل على منصب الكاهن الأكبر بشكل رسمى.

ومما هو جدير بالذكر أن منصب الكهانة قد ظل فى بيت صادوق منذ عهد سليمان، وكانت تشاركها فى شغله أسرة حونيو.[٤] ولما كان شغل شمعون لهذا المنصب قد جاء فى ظروف

---

(1) يقصد الملوك السلوقيون.

(2) 1 Macc. 14. 4-15.
ربما يقصد بعبارة الأشرار والخارجين عن القانون رجال الإستقراطية الذين تأغرقوا وكانوا مؤيدين للدولة:
Bartlett., op. cit., p. 190.

(3) 1 Macc. 10. 61; 11. 26-26.

(4) هانى عبد العزيز: المكابيون (دراسة فى الناحية الدينية والسياسية)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة عين شمس (١٩٩٩)، ص ٩٥.

طارئة، وبتفويض من سلطة غير يهودية، فقد أراد شمعون إضفاء الصبغة الشرعية على شغله للمنصب، فقام بدعوة مجلس الحاخامات للاجتماع فى أورشليم يوم ١٨ أيلول (سبتمبر) عام ١٤٠، وتقرر فى هذا الاجتماع اختيار شمعون كاهناً أكبر ἀρχιερευς وقائداً عسكرياً στρατηγος وزعيماً ἐθναρχης لليهود، ونص القرار على أن شمعون يظل هو القائد والكاهن الأكبر حتى يأتى النبى المنتظر، كما نص القرار أيضاً على أن تكون هذه المناصب لأبنائه من بعده، وهكذا ظهرت إلى الوجود فى أورشليم أسرة حاكمة تجمع بين السلطة الدينية والمدنية فى آن واحد، هى الأسرة الحشمونية، وقد نقش هذا القرار على نصب من البرونز أقيم فى الهيكل.(١)

بعد أن دعم شمعون مركزه بالحصول على اعتراف مجلس الحاخامات، قام بإرسال بعثة إلى روما تولى رئاستها شخص يدعى نومينوس *Numenius*، وحملت معها هدية قيمة عبارة عن درع من الذهب الخالص، وطلبت تجديد التحالف بين اليهود والرومان، وقد لقيت البعثة ترحيباً حاراً من السناتو الذى أصدر قرارا *Senatus Consultum*، يضمن لليهود اعترافا لا ينازعهم فيه منازع بالسيادة على أراضيهم، ويذكر الكتاب الأول للمكابيين إنه تم إبلاغ هذا القرار إلى ملوك مصر وسوريا وبرجامة وكبادوكيا وبارثيا، وكذلك إلى حكام الدول الأخرى المستقلة، ومدن بلاد اليونان وآسيا الصغرى، ولكن من الواضح أن الرومان كدأبهم كانوا على استعداد لتقديم الدعم المعنوى، دون المساعدة العسكرية.(٢)

ويمكننا أن نلاحظ أن نمو الدويلة اليهودية قد ارتبط على الدوام بضعف الدولة السلوقية منذ عهد ديمتريوس الأول، ولكن عندما آلت مقاليد السلطة إلى تريفون الرجل القوى توقف هذا النمو، واستطاع تريفون أن يكبح جماح اليهود إلى حين. ولم يكن اليهود هم العنصر الوحيد الذى استغل

---

(1) Schurer. op. cit. 194.

(2) 1 Macc. 15: 15-24; C. A. H., p. VIII. p. 527.

حالة التفكيك التى كانت عليها الدولة السلوقية، ففى الشرق استفحل خطر البارثيين، وفى عام ١٤١ استولى ملكهم ميثراديتس *Mithradates* الأول على إقليم بابل، وسيطر على مدينة سلوقية على نهر دجلة، التى كانت من أهم مدن الدولة السلوقية، وأساء معاملة الإغريق فى هذه المناطق، ولما كانت هذه الأراضى تابعة الجزء الذى يسيطر عليه ديمتريوس الثانى، فقد خف لنجدتها، وجرد حملة لهذا الغرض، ولكنه وقع فى الأسر، بيد أن ملك البارثيين أحسن معاملته، وزوجه من ابنته، وهكذا خلا الجو لتريفون لكى ينفرد بالسلطة فى الدولة السلوقية.(١)

٥ ـ تريفون *Tryphon*

أنطيوخس السابع سيديتيس *Sidetes*

كان أنطيوخس الأبن الأصغر للملك ديمتريوس الأول يعيش فى مدينة "سيده" *Side*، فى بامفيليا فى آسيا الصغرى،(٢) وهى مدينة عرف عن سكانها حبهم للمغامرة والمشاركة فى أعمال القرصنة، وكانت هذه المدينة إحدى القواعد المعروفة للقراصنة،(٣) وعندما بلغ أنطيوخس العشرين كان يعيش فى جزيرة رودس، وترامت إليه أنباء وقوع شقيقه فى الأسر لدى البارثيين، وانفراد تريفون بالسلطة فى الدولة السلوقية، فقرر على الفور العمل من أجل استعادة حق أسرته المغتصب،(٤) وقد ساعدته طبيعة أهل المنطقة التى شب فيها، فلم يجد صعوبة فى تكوين جيش من المرتزقة وإعداد أسطول، وأرسل خطابات إلى الجميع فى سوريا يدعوهم لمؤازرته فى إعادة

---

(1) Bevan., op. cit., p. 234.

مفيد العابد: المرجع السابق. ص ١٣٨.

(2) Bevan., op. cit., p. 236.

يرى مفيد العابد أن لقب سيديتيس يعنى الصيداوى نسبة إلى مدينة صيدا الفينيقية مسقط رأسه. أنظر مفيد العابد. المرجع السابق، ص ١٣٨.

(3) Strabo. XIV, 664.

(4) C. A. H. VIII. p. 528.

الشرعية إلى السلطة فى سوريا،(١) وإذا ما صدقنا ما جاء فى الكتاب الأول للمكابيين فإنه ذيل هذه الخطابات بلقب ملك، والحقيقة أن جماعات المعارضة التى كانت تكره تريفون كانت فى أشد الحاجة إلى قيادة تستند إلى الشرعية، فأيدته على الفور.

كانت كليوباترة ثيا زوجة ديمتريوس الثانى تفرض سيطرتها على مدينة سلوقية على مصب نهر العاصى، فأرسلت إلى أنطيوخس تعرض عليه الزواج منها،(٢) وقد رحب هذا الأخير بذلك العرض، وتم الزواج، ووضع على رأسه التاج الملكى، وأدت هذه الخطوة إلى زيادة أعداد مؤيديه، أما تريفون فقد أخذ أنصاره ينفضون من حوله، فهرب من أنطاكية إلى الجنوب آملا فى تأييد العرش البطلمى واليهود، وانتهى به الأمر إلى اللجوء إلى مدينة أباميا *Apamea* مسقط رأسه، حيث تم إلقاء القبض عليه، وانتهى به الأمر إلى الانتحار.(٣)

ومثله مثل كل المطالبين بالعرش السورى فقد شرع أنطيوخس السابع إلى اليهود ينشد مساعدتهم. وأرسل إلى شمعون خطاباً نصه كما يلى: "الملك أنطيوخس إلى شمعون الكاهن الأكبر والزعيم وإلى الأمة اليهودية، تحية: حيث أن بعض الخونة قد اغتصبوا مملكة أجدادى، فإننى قررت أن أعلن مطالبتى بها، حتى أتمكن من إعادتها إلى وضعها السابق" ثم يستطرد قائلاً: "والآن فإننى اقر كل الإعفاءات التى منحها لكم أسلافى من الملوك، وكل الإعفاءات الأخرى من الجزية، وأننى أسمح لكم بسك النقود، لكى تكون عملتكم المتداولة فى بلادكم. وسوف تكون أورشليم والهيكل معفاة، وكل التحصينات التى بنيتموها وكل ما تحت أيديكم سوف يبقى لكم. كما أن كل الديون التى تدينون بها للخزانة الملكية وكل ما هو مستحق عليكم فى المستقبل سوف يتم

(1) 1 Macc. 15. 1-2.

(2) هذا هو الزواج الثالث لكيليوباتره ثيا، فقد تزوجت الإسكندر بالاس، ثم ديمتريوس الثانى من قبل.

(3) Joseph. Ant. XIII. 224.

إسقاطه من الآن وإلى الأبد، وعندما نعيد استقرار المملكة سوف نغدق عليكم التكريمات وعلى شعبكم وعلى الهيكل حتى تصبح عظمة بلادكم بادية لكل العالم".(١)

ويرى بارتليت *Bartlett* أن قيام أنطيوخس بمنح شمعون حق سك عملة خاصة باليهود يعد أمرا جديدا وخطوة على جانب كبير من الأهمية، لأنها تعطى لليهود حق السيطرة الكاملة على جودايا من الناحية الاقتصادية، وعلى آية حال فإن شمعون لم يقم بإصدار عملة خاصة به، ويرجع ذلك إلى أنه لم يجد الوقت الكافى للشروع فى إصدار العملة، لأن أنطيوخس سرعان ما تنكر لهذا الوعد بعد شهور قليلة.(٢)

بعد أن اطمأن أنطيوخوس إلى أن سيطرته على الدولة باتت أمرا وشيكا، بدأ يتملص من وعوده السابقة، وأخذ يعطى ظهره لشمعون، فبينما كان يحاصر تريفون فى قلعة دورا *Dora* عرض عيه شمعون أن يرسل له ألفين من الجنود مع مبلغ من الذهب والفضة، أعرض عنه ورفض مساعدته، وسحب منه حق إصدار عملة خاصة به،(٣) ولم يلبث أن أرسل إليه مندوبا يطلب منه تسليم قلعة أورشليم، وكذلك المناطق التى قام بالاستيلاء عليها خارج جودايا، ودفع غرامة قدرها ألف تالنت نظير استيلائه على هذه المناطق.(٤)

وجد شمعون أن مطالب أنطيوخس جائزة فرد على الملك قائلا: "إننا لم نحتل أرضا لشعب آخر، ولم نستول على ممتلكات شعب آخر، ولكنها إرث أجدادنا الذى استولى عليه الغرباء ظلما لبعض الوقت".(٥)

(1) 1 Macc. 15. 2-9.

(2) Bartlett., op. cit., p. 200.

(3) 1 Macc. 15: 26-27; Russell., op. cit., p. 61.

(4) 1 Macc. 15: 28-31; Schurer, op. cit., p. 198.

(5) 1 Macc. 15: 33. 34.

استشاط أنطيوخس غضباً من رد شمعون فقرر معاقبته، وأرسل جيشاً بقيادة كندبايوس *Cendebaeus*، ولما كان شمعون قد طعن فى السن ولم يعد قادراً على القيادة العسكرية، فإنه أسند مهمة التصدى لهذا الجيش إلى ولديه يهوذا ويوحنا، اللذان تمكنا من إحراز نصر باهر على جيش الملك وعادا منتصرين إلى أورشليم.(١)

لم يفكر أنطيوخس السابع فى إرسال قواته مرة أخرى ضد اليهود، وعاش شمعون ماتبقى من سنوات عمره فى هدوء، وفى عام ١٣٤ وبينما كان يقوم بجولة تفقدية مصطحباً معه أثنين من أبنائه هما متاتيا ويهوذا، وعندما كانوا جميعاً فى قلعة دوك *Dok* بالقرب من جريكو *Jericho* (أريحا)، قام بطلميوس زوج ابنة شمعون الذى كان قد عينه قائداً على هذه المنطقة بقتله هو وابنيه بينما كانوا فى سكر بين من احتساء الخمر.(٢)

أراد بطلميوس إكمال المغامرة للاستيلاء على السلطة فى جودايا، فأرسل عملاءه لقتل يوحنا ابن شمعون، الذى كان حاكما لجازارا آنذاك، ولكن هذا الأخير فطن للمؤامرة التى دبرها بطلميوس، فسارع بالذهاب إلى أورشليم، ونجح فى تولى منصب الكاهن الأكبر خلفا لوالده، وذلك بمقتضى القرار الذى أصدره مجلس الكهنة بأن يكون المنصب وراثيا لأبناء شمعون من بعده.

عندما وصل بطلميوس إلى أورشليم وجد المدينة فى قبضة يوحنا، فاضطر للانسحاب والتحصن فى قلعة دوك *Dok*، فحاصره يوحنا، إلا أنه اضطر لفك الحصار خوفا على حياة والدته، التى كان قد احتجزها بطلميوس، ولكن هذا الأخير قتل هذه السيدة وفر هارباً.(٣)

---

(1) 1 Macc. 16: 1-16; Schurer, op. cit., p. 198-9.

(2) 1 Macc. 16: 16-17.

يبدو أنه لهذا السبب فإن بعض النصوص اليهودية القديمة وصفت شمعون بأنه الكاهن الشرير. أنظر:
Schurer, op. cit., p. 199. n. 30.

(3) عندما هدد هيركانوس باقتحام القلعة، أحضر بطلميوس أسيرته (أم هيركانوس) ووضعها على أسوار القلعة وهدد بإلقائها من أعلى إذا لم ينسحب هيركانوس.
Joseph. Ant. XIII, 8.

بعد أن استتب الأمر ليوحنا فى أورشليم أصبح يعـرف بلقـب هيركـانوس *Hyrcanus*.[١] واضطر إلى أن ينحى جانبا رغبته فى الانتقام من بطلميوس الذى قتل العديدين من أفراد أسرته، وأن يولى وجهه شطر الخطر الجديد الذى بات تهدده، فبينما كانت الدويلة اليهودية تعـانى مـن النزاعات الأسرية كان يجلس على العرش السلوقى ملك قوى هو أنطيـوخس الـسابع، وقامـت القوات السورية باستعادة مدن يافا *Jappa* وجازارا *Gazara* التى استولى عليها اليهـود مـن قبل.[٢]

كان على يوحنا هيركانوس أن يعمل على درء هذا الخطر، فأرسل بعثته إلى روما لكى يطلب مساعدتها فى استعادة المناطق التى استولت عليها قوات السلطة المركزية، وقد حفظ لنا المـؤرخ جوزيفوس قرار السناتو *Senatus Consultum* الذى يؤكد تجديد الصداقة *φιλία* والتحـالف *συμμαχία* ما بين روما واليهود،[٣] مع تأجيل اتخاذ قرار فيما يتعلـق باسـتعادة المنـاطق التى استولت عليها القوات السورية لأن هذه المناطق لم تكن ملكا لليهود فى الأصل، أثارت هذه الخطوة غضب الملك أنطيوخس السابع فقرر العمل على استعادة هيبة الدولة، وجرد جيشا وفـى عام ١٣٥ـــ١٣٤ اجتاح جوديا، وحاصر يوحنا هيركانوس فى أورشـليم،[٤] وفـرض حـصاراً محكماً حول المدينة وقطع عنها الإمدادات، وحاول هيركانوس تخفيف حدة الحصار عن طريـق

---

(1) يرى بعض الباحثين أن لقب هيركانوس يعنى أن هيركانوس قام بقهر أهل منطقة هيركانيا عند بحر قزوين إبان مشاركته فى الحملة التى قام بها أنطيوخس السادس على هذه المنطقة، ولكن شورر من خلال دراسته للنصوص العبرية لا يوافق على هذا الرأى، ويرى أن هذا الاسم كان شائعاً لدى اليهود منذ فترة طويلة، وأن ذلـك يرجـع إلى العهد الذى قام فيه الملك الفارسى أرتاخشاير شاه بتهجير بعض يهود فلسطين إلى مستعمرة فى بحر قزوين، وأن أحد أهالى هذه المستعمرة حين عاد إلى فلسطين كان يحمل لقب هيركانوس، أنظر:
Schurer. op. cit., pp. 201-2. n. 2.

(2) C. A. H. VIII. p. 529.

(3) Joseph. Ant. XIII, 260 sqq.

(4) Joseph. Ant. XIII, 8. 2 (236).

مناوشة المحاصرين، ولكن بدون جدوى ورأى أن يتخلص من العاجزين عن القتال بإرسالهم خارج المدينة ولكن أنطيوخس منعهم من المرور وأعادهم إلى المدينة مرة أخرى، وظل هؤلاء البؤساء يتنقلون ما بين المدينة والقوات المحاصرة، ومات بعضهم من شدة الجوع والعطش، وحين حل موعد الاحتفالات الدينية اضطر هيركانوس إلى السماح بدخولهم أورشليم، وتحت وطأة هذه الظروف طلب هيركانوس هدنة لمدة سبعة أيام، ورحب أنطيوخس بهذا الطلب، وإمعانا فى إظهار سخائه أرسل أضاحى لكى تقدم فى الهيكل.[١]

عانت أورشليم بشدة من الحصار ونفاذ المؤن، ونصح مستشاروا الملك قائدهم بأن يكمل ما بدأه جده أنطيوخس الرابع، وأن يبيد هذا الشعب المثير للمتاعب، ولكنه أعرض عن هذه النصيحة،[٢] وكان حريصا على أن يظهر تقديره للديانة اليهودية، وخير دليل على ذلك ما قام به من إرسال الأضاحى إلى الهيكل أثناء الحصار وإثبات أن صراعه مع اليهود ليس له أسباب دينية، بل هو صراع سياسى، لأن الملك حريص على أن يعود اليهود إلى حظيرة الدولة السلوقية كما كان الحال سابقاً.

اضطر الكاهن الأكبر فى النهاية إلى طلب الصلح، وقام بتوقيع معاهدة نصت على إزالة أسوار أورشليم، وتسليم الرهائن إلى الملك كان من بينهم شقيق يوحناهيركانوس، ولكن يبدو أن أنطيوخس استجاب لضغط الرومان، فوافق على عدم إعادة فرض الجزية على اليهود، وأن تعاد إليهم الأماكن التى استولوا عليها خارج بلادهم، وأن يدفعوا غرامة قدرها ٥٠٠ تالنت،[٣] وعادت القوات السورية إلى قواعدها، ومما هو جدير بالذكر أن أنطيوخس السابع حرص أشد الحرص على أن يشاهد بنفسه عملية تدمير أسوار أورشليم قبل أن يعود إلى أنطاكية.[٤]

---

(1) Schurer, op. cit., p. 203.

(2) C. A. H. VIII. p. 530.

(3) Russell., op. cit., p. 63.

(4) Joseph. Ant. XIII, 8, 2-3.

وعلى الرغم من أن شروط المعاهدة كانت قاسية على يوحنا هيركانوس، إلا أنه كان مضطرا لقبولها، وكان على اليهود أن يتيقنوا أنهم رعايا الدولة السلوقية، وأن سنوات الاستقلال التى نعموا بها فى ظل الكاهن الأكبر شمعون قد ولت، وقد أثبتت الأيام أن الدويلة اليهودية لا تستطيع أن تنعم بأى قدر من الاستقلال إلا إذا كانت الدولة السلوقية فى حالة من الضعف والتفكك.

وباعتباره واحد من رعايا أنطيوخس السابع، اضطر يوحنا هيركانوس إلى المشاركة فى الحملة التى قرر الملك السلوقى القيام بها ضد البارثيين فى عام ١٣٠، وكان الهدف من ورائها بسط هيبة الدولة على الولايات الشرقية، وفك أسر الملك السابق ديمتريوس الثانى وشقيق الملك الحالى، الذى كان رهينة لدى البارثيين،[١] وعلى الرغم من نجاح انطيوخس فى البداية فى إحراز بعض الانتصارات،[٢] إلا أنه خر قتيلا فى عام ١٢٨ إثر مكيدة دبرها البارثيون،[٣] وكان هؤلاء الأخيرين قد أطلقوا سراح ديمتريوس قبل مقتل شقيقه (عام ١٢٩) ظنا منهم أن عودته إلى سوريا سوف تؤدى إلى صراع على السلطة، وبعد مقتل أنطيوخس السابع أصبح ديمتريوس يمثل السلطة الشرعية فى سوريا.

---

(1) Bevan., op. cit., p. 242-3.

(2) بعد الانتصارات التى أحرزها أنطيوخس السابع فى البداية اتخذ لقب الملك الأعظم مثله مثل أنطيوخس الثالث.
أنظر: مفيد العابد: المرجع السابق، ص ١٤١.

(3) يعد هذا الملك هو أخر الملوك الأقوياء فى البيت السلوقى وعلى الرغم من كراهية اليهود له، لأنه دمر دولتهم فإنهم أطلقوا عليه لقب التقى *Eusebes*.
Joseph. Ant. XIII, 15, 2 (389-91).

٦ ــ ديمتريوس الثانى *Demetrius II*
الإسكندر زابيناس *Alexander Zabinas*

لم يلق ديمتريوس الثانى ترحيبا فى بلاط أنطاكية بعد عودته، بل أن زوجته السابقة وأرملة شقيقة أنطيوخس السابع عارضت بشدة عودته إلى العرش، وإزاء هذا الإحباط الذى سيطر عليه فإنه كان يبحث عن فرصة يعوض من خلالها إحساسه بالفشل، واعتقد أن الفرصة واتته حينما طلبت منه كليوباتره الثانية والدة زوجته مساعدته ضد شقيقها بطلميوس يورجتيس الثانى، ووعدته بعرش مصر، وقد فرح ديمتريوس بهذا العرض وتصور أنه قاب قوسين أو أدنى من تحقيق الحلم الذى راود من سبقوه من ملوك الدولة السلوقية مثل أنطيوخس الثالث والرابع.(١)

استجاب ديمتريوس الثانى لدعوة كليوباترة الثانية، وتقدم بجيشه إلى الحدود المصرية، إلا أن جنوده شقوا عصا الطاعة، وتمردوا عليه، فلم يفلح فى اجتياز الحدود المصرية، ووصل إلى بيلوزيون، واضطر للعودة لإخماد العصيان الذى استشرى ضده داخل المملكة، كما أن كليوباتره ثيا أعلنت عداءها الصريح، وتحصنت فى مدينة بطولميس (عكا).(٢)

أدى هذا الموقف الذى اتخذه ديمتريوس فى تأييد كليوباتره الثانية ضد شقيقها ملك مصر إلى استعداء هذا الأخير، فقرر الانتقام منه، فادعى وجود شاب من سلالة الأسرة السلوقية، وأنه ابن أنطيوخس السابع، وأنه الأحق بتولى العرش من ديمتريوس، وكان هذا الشاب يدعى الإسكندر، وأضاف السوريون إلى اسمه لقب زابيناس *Zabinas*، وهى كلمة تعنى بالآرامية العبد المشترى(٣)

(1) Holbel. G., A History of the Ptolemaic Empire. London. (2001). p. 200.

(2) Bevan., op. cit., p. 243.

(3) مفيد العابد: المرجع السابق، ص ١٤٣.

تلقى اليهود بسعادة غامرة نبأ مقتل أنطيوخس السابع، خاصة وأن من حل محله ملك ضعيف، هو ديمتريوس الثانى، الذى وجد نفسه منغمسا فى مشاكل داخلية، مما أعاقه عن التدخل فى شئون اليهود، فانتهز يوحنا هيركانوس الفرصة وأخذ يقوم بتوسيع حدود دولته خارج أرض جودايا فى الشرق والشمال والجنوب، بعد عودته من المشاركة فى الحملة البارثية مباشرة فى عام ١٢٥.[١]

اتجه يوحنا هيركانوس أولا إلى شرق الأردن، فاستولى على مدينة "ميدبا" *Medeba*، بعد حصار دام ستة شهور،[٢] ثم يمم وجهه بعد ذلك صوب الشمال فاستولى على "شيشيم" *Shechem*، وتل جيرزيم *Gerizm*، واستولى على بلاد السامريين ودمر معبدهم فى عام ١٠٨، ثم واصل اندفاعه جنوبا واستولى على بلاد الايدوميين *Idumaea*، وفرض على أهلها اعتناق اليهودية، وإجراء الختان.[٣] ويذكر جوزيفوس أن هيركانوس استخدم المرتزقة فى تلك الغزوات، وأنه اضطر للسطو على مقبرة الملك داوود لكى يتمكن من الوفاء بالتزاماته تجاه هؤلاء المرتزقة.[٤] وتمثل هذه الغزوات نقلة خطيرة فى العمليات اليهودية، وتختلف عما قام به يوناثان وشمعون من حيث كونها حروبا سياسية، لأنه لم يستخدم الجنود اليهود، بل استخدم المرتزقة.

وفى عام ١٠٩ أقدم هيركانوس على خطوة شديدة الأهمية، لم بسبقه إليها حاكم يهودى من قبل، حين سك عملة تحمل اسمه، كتب على أحد وجهيها عبارة "يوحنا الكاهن الأكبر وقائد الشعب

---

(1) Russell. op. cit., p. 63.

(2) مدينة معروفة فى شرق الأردن، وقد ورد ذكرها فى الكثير من المصادر. أنظر:
Schurer., op. cit. p. 207.

(3) Joseph. Ant. XIII, 9. 1 (255-8); C. A. H. VIII. p. 532.

(4) Joseph. Ant. XIII, 8, 4 (349).

اليهودى" وعلى الوجه الآخر رسم قرن الخيرات المزدوج، ومعه رأس زهـرة، وهـو الرسـم الإغريقى الذى يستخدم للدلالة على الوفرة والخصوبة التى تعم البلاد.(١)

وبينما استمر اليهود فى التوسع اشتعل الصراع حول العرش السلوقى مرة أخرى، ومما لاشك فيه أن الدعم الذى قدمه ملك مصر أدى إلى ترجيح كفة زابيناس فى صراعه مع ديمتريوس، وفى المعركة الحاسمة التى وقعت بين الطرفين بالقرب من دمشق، لقى ديمتريوس هزيمة ثقيلـة فـر على أثرها ألى بطولميس (عكا)، حيث كانت توجد كليوباتره ثيثا وأبناؤه منها، ولكنها أوصـدت دونه أبواب المدينة، وعندما وجد نفسه مشردا قرر أن يلجأ إلى معبد هرقل (ملكار) فـى مدينـة صور، ولكن ما أن وطأت قدماه أرض المدينة حتى قتل، ومن المرجح أن حاكم المدينـة كـان يأتمر بأوامر كليوباتره ثيا.(٢)

(1) Russell. op. cit., p. 65. 6.

ساءت العلاقة بين الكاهن الأكبر وفئة المتدينين الذين عرفوا باسم الفريسيين *Pharisees* بسبب تصرفات يوحنا هيركانوس. أنظر: C. A. H. VIII. p. 532.

(2) Bevan., op. cit., p. 250.

٧ ـ الإسكندر زابيناس *Zabinas*

أنطيوخس الثامن جروبوس *Grypos*

لعبت كليوباتره ثيا دوراً مؤثرا فى أحداث تلك الفترة، فهى ابنة بطلميوس السادس فيلوميتور، وتنتمى إلى البيت السلوقى، فإن جدها لوالدتها هو أنطيوخس الثالث، ولم تكن راضية عن ديمتريوس الثانى، واعتبرته مسئولا عن تدهور الدولة السلوقية، وعندما قتل ديمتريوس الثانى، قام ابنه منها وكان يدعى سلوقس باتخاذ لق ملك ودون إذنها، فقامت باغتياله، وكانت امرأة بلا قلب، ولا يهمها إلا مصالحها الذاتية، وأقامت بدلا منه ابنها الثانى من ديمتريوس، واسمه أنطيوخس، ولكنه عرف باسم جربوس *Grypos*، ومعناه ذو الأنف الاقنى، وقد تعلم فى أثينا، وكان يبلغ السادسة عشر من العمر.[١]

وعلى الرغم من أن الإسكندر زابيناس كان صنيعة الملك البطلمى يورجيتيس الثانى، إلا أن هذا الأخير بعد وفاة ديمتريوس الثانى انحاز إلى أنطيوخس الثامن جربوس، الذى رأى فيه ممثلا للسلطة الشرعية، وأرسل ابنته كليوباتره تريفانيا *Trephanea* لكى تكون زوجة له، كما بعث بقواته لكى تدعمه فى صراعه مع زابيناس،[٢] وفى أول مواجهة بين الطرفين فى عام ١٢٣/ ١٢٢ لقى زابيناس هزيمة ساحقة، حاول بعدها أن يلوذ بمدينة أنطاكية، إلا أن أهل أنطاكية قبضوا عليه، وسلموه لأنطيوخس الثامن جربوس الذى أمر بإعدامه، بعد أن فرغ جربوس من زابيناس كان عليه أن يواجه والدته المتسلطة، وقد نما إلى علمه أنها تحيك مؤامرة للتخلص منه، فبادر بقتلها فى عام ١٢١/ ١٢٠.[٣]

---

(1) Bevan., op. cit., p. 251.

(2) مفيد العابد: المرجع السابق، ص ١٤٣.

(3) Bevan., op. cit., p. 252.

وفى فترة الصراع الذى خاضه زابيتاس ضد ديمتريوس ثم ابنه انطيوخس الثامن جروبوس، لم يكن لديه الوقت للالتفات إلى المسألة اليهودية، وحرص على مصادقة هيركانوس زعيم اليهود.

٨ ـ جروبوس *Grypos*

الكوزيكى *Kyzikos*

بعد مقتل الإسكندر زابنياس أصبح أنطيوخس الثامن جروبوس هو الحاكم الأوحد فى الدولة السلوقية، ولكنه لم يقم بأى إجراء ضد اليهود، فلم يكن لديه الطموح لإعادة الدولة السلوقية إلى وضعها القديم،[١] ولكن جروبوس لم يهنأ بالسلطة لفترة طويلة، فقد أخذ يناطحه أخوه من أمه أنطيوخس (التاسع فيما بعد)، وكانت كليوبابره ثيا قد أنجبته من أنطيوخس السابع، وأرسلته لكى يتعلم فى مدينة *Kyzikos* فى آسيا الصغرى، وعندما علم بخبر مقتل والدته أراد أن يثأر من أخيه، وروج إشاعة مفادها أن جروبوس يسعى لقتله أيضاً، وأعلن الحرب عليه، واستطاع أن يكتسب الكثيرين من الأنصار فى فترة وجيزة مستغلاً حب الناس لوالده أنطيوخس السابع.

هرب جروبوس إلى آسيا الصغرى، ونجح الكوزيكى فى اعتلاء العرش، وأطلق على نفسه لقب فيلوباتور *Philopator*، أى المحب لأبيه، غير أن الناس أطلقوا عليه لقب الكوزيكى نسبة إلى المدينة التى نشأ فيها.[٢] والحقيقة أن الكثيرين كانوا ما يزالون يدينون بالولاء للملك الهارب، وأطلت الفتنة برأسها مرة أخرى، واحتدم الصراع على العرش من جديد، ولعل مما زاد الموقف توتراً اضطراب الأحوال فى مصر، والصراع داخل الأسرة البطلمية، الذى انعكس على الأوضاع فى سوريا.[٣] وقد انفرد الكوزيكى بالسلطة لمدة عامين،غير أن جروبوس تمكن من

---

(1) Schurer., op. cit. p. 208.

(2) مفيد العابد: المرجع السابق، ص ١٤٤.

(3) Holbel. G., op. cit. p. 203ff.

العودة والاستيلاء على جانب من المملكة، وتركزت سلطته فى الشمال، بينما تركزت سلطة الكوزيكى فى سوريا الجنوبية والساحل السورى، واتخذ دمشق عاصمة له، ويقدم لنا ديودور صورة سلبية لشخصية الكوزيكى، الذى كان مستهترا، يقضى جل وقته مع المهرجين والندماء.[1]

كان هذا هو المناخ الذى يناسب يوحنا هيركانوس، ولم يكن هناك من الأسباب ما يجعله يقيم وزنا لمثل هذا الحاكم الضعيف، ومنذ عام ١٢٩ أى بعد وفاة أنطيوخس السابع أصبح اليهود يتمتعون باستقلال كامل، فلم يعودوا يدفعون الجزية التى فرضها عليهم أنطيوخس السابع، وكما عبر جوزيفوس ولم يعد الملك يمثل أهمية لهم، لا باعتبارهم رعايا، ولا باعتبارهم أصدقاء،[2] οὔτε ὡς ὑπηκοος οὔτε ὡς φιλος

وقام هيركانوس فى السنوات الأخيرة من حكمة بشن العديد من الغارات على المناطق المجاورة، وأسند إلى ولديه أنتيجونس *Antigonus* وأريستوبولوس *Aristobulus* مهمة الهجوم على مدينة سماريا *Samaria* الإغريقية، التى طلبت العون من الكوزيكى بعد أن عانت من الحصار، وحين خف لنجدتها رد على أعقابه، مما اضطره إلى طلب العون من بطلميوس التاسع لاثيروس *Lathyrus* ملك مصر، الذى أمده بمعونة مكنته من دحر اليهود واجتياح أراضيهم فى البداية،[3] ولكنه هزم بعد ذلك فى عام ١٠٨ على يد ابنى الكاهن الأكبر، اللذان دخلا مدينة سماريا بعد ذلك وقاما بالانتقام من أهلها وتدميرها.[4]

وفى عام ١٠٤ مات يوحنا هيركانوس، ويمكن القول بأنه ترك لأبنه مملكة وصلت تقريبا إلى ذات الحدود التى كانت عليها مملكة داوود، ولكن من ناحية أخرى أزداد النفور ما بين البيت الحشمونى وطائفة المتدينين اليهود (الفريسيين) ووصل إلى ذروته، مما جعل هؤلاء يعانون على

(1) Diod. XXXIV/ V 34.

(2) Joseph. Ant. XIII, 10, 1 (273).

(3) C. A. H. VIII. p. 532-3.

(4) Schurer., op. cit. p. 210.

يد ابن شقيق يهوذا المكابى الذى كان تنظر إليه باعتباره رمزاً للقومية اليهودية أكثر مما عـانى اليهود المتدينون على يد أنطيوخس الرابع إيبفانيس الملك الوثنى، الذى كالت له المصادر اليهودية التهم باعتباره عدوا لليهود.(١)

استفحل خطر اليهود فى ظل انقسام الدولة السلوقية إلى مملكتـين، إحـداهما فـى الجنـوب والأخرى فى الشمال، وفى عام ١٠٤ـ١٠٣ قام أريستوبولوس الذى خلف والده يوحنا هيركانوس بإرغام سكان الجليل على اعتناق اليهودية، وإجراء الختان، على الرغم من أنه كان يوصف بأنه محب للحضارة الإغريقية، وجاء وصفه عند جوزيفوس بلقب *φελέλλην*.(٢) ولم يلبث أن قام بغزو جانب من بلاد الايتوريين *Ituraeans* فى جنوب لبنان، وأرغمهم على اعتناق اليهودية.(٣)

لم يدم حكم أريستوبولوس سوى عام واحد، وتولى مـن بعـده شـقيقه الإسـكندر ينـايوس *Alexander Jannaeus* فى عام ١٠٣، الذى تزوج من أرملة شقيقه المتوفى سالومى الكسندرا *Salome Alexandra*، والتى كان لها الفضل فى توليته الحكم،(٤) ودام حكم الإسكندر نيـايوس لمدة ٢٧ عاما، وكان اسمه يذكر مشفوعا بلقب ملك، ووضع على العملة التى سكها لقـب ملـك باليونانية *βασιλεύς* وكذلك بالعبرية.(٥)

---

(1) C. A. H. VIII. p. 532.

(2) Joseph. Ant. XIII, 11, 3 (318).

(3) Schurer., op. cit. p. 217.

الايتوريون هم فى الأصل الجماعة التى عرفها اللحيانيون فى ددان العلا باسم ثرو، وقد أنشأوا مملكـة لبنـان، اعترفت بها الدولة السلوقية فى عام ١١٥، وقد اتسعت مملكتهم فسيطروا على مناطق واسعة من شـرق لبنـان، وعلى جانب كبير من الساحل اللبنانى. أنظر:

مصطفى كمال عبد العليم: الايتوريون. عرب لبنان القدامى، العصور، المجلد الأول، الجـزء الأول، (١٩٨٦)، ص ١ـ١٤.

(4) Schurer., op. cit. p. 219.

(5) C. A. H. IX. p. 398.

واصل الإسكندر نيانوس السياسية التوسعية التى مارسها أسلافه، فبدأ بشن الحرب على مدينة بطولميس (عكا)،[١] وضرب حولها حصارا خانقا، مما دفع أهلها إلى طلب العون من بطلميـوس التاسع لاثيروس *Lathyros* الذى كان يحكم قبرص، بعد أن طردته أمه كليوباتره الثالثـة مـن الإسكندرية،[٢] فاستجاب لطلبهم ووصل إلى المنطقة على رأس قواته، مما دفع ينايوس إلى رفـع الحصار عن المدينة،[٣] وتوقيع معاهدة مع بطلميوس لاثيروس، ولكنه فى نفس الوقت أرسل ينشد مساعدة كليوباتره الثالثة، وعندما تناهى ذلك إلى علم بطلميوس لاثيروس اعتبر هذا التصرف من ينايوس خرقا للمعاهدة التى أبرمها معه، فاجتاح بقواته جودايا، والتقى بالاسكندر ينـايوس عنـد أسوفون *Asophon* عند نهر الأردن، وتمكن من إلحاق هزيمة نكراء به، وفر جنـود ينـايوس ولكن جنود بطلميوس طاردوهم واعملوا سيوفهم فى رقابهم "حتى ثلمت سيوفهم من الذبح وتعبت أيديهم" كما عبر جوزيفوس.[٤] καὶ αἱ χειρσ παρειθησαν وقد تمكن بطلميوس مـن إخضاع جودايا لسيطرته.

أثارت هذا الأنباء انزعاجاً بالغاً لدى كليوباتره الثالثة، وأرادت تقويض إنجازات ابنها فأرسلت جيشا إلى فلسطين، وتكمن هذا الجيش من طرد بطلميوس وفرض السيطرة على جودايـا، وقـد نصحها بعض مستشاريها بأن تضم فلسطين إلى مصر، إلا أن مستشارها اليهودى "حنانيا" تمكَـن من إقناعها بالعدول عن هذا المشروع، والتحالف مع الإسكندر ينايوس،[٥] وأصبح هذا الأخيـر

---

(1) من الملاحظ خلال الأحداث السابقة الدور البارز الذى لعبته مدينة عكا فى تاريخ هذه الفترة. عن تاريخ عكا فى العصر السلوقى:

Rouvier. Jules., Ptolemaïs-Ace ses noms et ses eres sous les Seleucides et la domination remaine:Revue Biblique huitiem e Anuée. Paris. (1899). pp. 393-404.

(2) Holble., op. cit., p. 208.

(3) Joseph. Ant. XIII, 12, 2, 4 (324-34).

(4) Joseph. Ant. XIII, 12, 5 (343).

(5) Schurer., op. cit. p. 221.

هو القوة الفعلية فى المنطقة، بعد انسحاب بطلميوس إلى قبرص، مكتفيا من الغنيمة بالإياب، كما سحبت كليوباتره قواتها من فلسطين، أما ينايوس فبعد أن خلا له الجو استأنف توسعاته فى كافة الاتجاهات، فسيطر على مدينة غزة فى عام ٩٦، وفى هذا العام توفى أنطيوخس الثامن جروبوس.(١)

مع انغماس الإسكندر ينايوس فى حروبه التوسعية لم يفطن إلى المعارضة الداخلية التى أخذت تتنامى ضد حكمه، والتى تولت قيادتها جماعى الفريسيين *Pharisees* وهى الجماعة التى تمثل رجال الدين المتشددين، وسعى ينايوس إلى وأد الفتنة فى مهدها، فأمر جنوده بقتل المعارضين، وقام هؤلاء الجنود بارتكاب مذبحة راح ضحيتها ستة آلاف من اليهود،(٢) وقد فجرت هذه المذبحة مشاعر الغضب لدى اليهود ضد حكم الإسكندر ينايوس. وباتوا يحلمون بيوم الخلاص من هذا الطاغية.

ظن ينايوس أنه تمكن من إخماد الثورة، ولكن النار كانت تكمن تحت الرماد، ولم يستطع أن يكبح جماح رغبته فى المزيد من التوسع، فقام بحملة على بعض القبائل العربية شرق الأردن، وأرغمها على دفع الجزية، وأخذ فى التحرش بالملك عباده ملك الأنباط، ولكنه وقع فى كمين ونجا منه بأعجوبة وعندما فر إلى أورشليم وجد فى انتظاره شعوراً عدائياً من سكانها، فإن الفريسيين وجدوا الفرصة مواتية للتخلص منه،(٣) فاستعانوا بالجنود المرتزقة، وقاتل ينايوس لمدة ستة سنوات لاستعادة مركزه فى أورشليم.(٤) وبعد أن أنهكه الصراع عرض على خصومه الصلح، إلا أنهم رفضوا، وأمعنوا فى مشاعرهم العدائية تجاهه، وبلغ بهم الأمر إلى حد الاستعانة بسلطة أجنبية. ففى عام ٨٨ أرسلوا إلى أحد أمراء البيت السلوقى ويدعى ديمتريوس الثالث

---

(1) Bevan., op. cit. p. 259.

(2) Joseph. Ant. XIII, 13, 5 (372-3).

(3) Roth. C., op. cit., p. 82.

(4) Schurer., op. cit. p. 225.

يوكايروس *Demetrius III Eucaerus*، وهو ابن أنطيوخس جروبوس، وكان يسيطر على بعض أجزاء سوريا ينشدون مساعدته ضد ينايوس.(١)

لبى ديمتريوس الثالث دعوة الفريسيين على الفور وجاء على رأس جيشه، ويمثل هذا الموقف تغيرا مهما فى العلاقة بين اليهود والبيت السلوقى، فقد اعتاد اليهود أن يتدخلوا فى الصراعات بين أبناء هذا البيت لتحقيق مكاسب على حساب السلطة المركزية، أما فى هذه المرة فإننا نلاحظ أن أحد أمراء البيت السلوقى هو الذى انتهز فرصة الصراع الداخلى بين اليهود لتحقيق مكاسب، وعندما التقى الطرفان لقى الإسكندر ينايوس هزيمة منكرة فر على أثرها إلى الجبال.(٢)

شعر اليهود بالذنب لأنهم ساندوا رجلاً أجنبيا ضد واحد من بنى جلدتهم، وتحركت مشاعرهم القومية، ورأوا أنه من الأفضل لهم أن يعيشوا فى ظل حاكم يهودى حتى لو كان طاغية، فى دولة مستقلة، من أن تصبح بلادهم مجرد ولاية فى الدولة السلوقية.(٣) فآثر ستة آلاف منهم الانضمام إلى الإسكندر ينايوس، بينما عاد ديمتريوس الثالث إلى عاصمته، ويعد ديمتريوس الثالث هو آخر الملوك السلوقيين الذين تدخلوا فى شئون اليهود.(٤)

عاد الإسكندر ينايوس إلى أورشليم، وحارب الذين كانوا ما يزالون على تمردهم عليه، واستطاع أن يهزمهم، وعندما لاذ قادتهم بالفرار طاردهم وأسرهم، وأنتقم منهم شر انتقام، وطبقا

---

(1) لقب يوكايروس يعنى المحظوظ، وهو لقب أطلق عليه أهل دمشق، لأنه أحرز نجاحات لم تكن متوقعة. أنظر: مفيد العابد: المرجع السابق، ص ١٤٩.

(2) Joseph. Ant. XIII, 14, 1-2 (377-9).

(3) Russell., op. cit., p. 69.

(4) Bevan., op. cit., p. 260.

لرواية جوزيفوس فإنه أمر بشنق ٨٠٠ منهم وأخذ يتسلى برؤيتهم يلفظون أنفاسهم الأخيرة وهو يلهو مع محظياته، وإمعانا فى تعذيبهم فإن أمر بقتل زوجاتهم وأبنائهم أمام أعينهم قبل إعدامهم.(١)

عاش الإسكندر ينايوس فى سلام خلال الفترة الباقية من حكمه، فلم يواجه معارضة تذكر، أما الإمبراطورية السلوقية التى كانت تترنح من فترة طويلة فقد بدأت تلفظ أنفاسها الأخيرة، وانعكست الأحوال المضطربة فى سوريا على جودايا. فإن أنطيوخس الثانى عشر أصغر الأبناء الخمسة لجروبوس دخل فى حروب متوالية مع شقيقه فيليب وملك الأنباط، وشرع فى مهاجمة بلاد الأنباط، وقد كان هذا يتطلب المرور عبر جودايا، وأراد ينايوس أن يمنعه من القيام بهذه الحملة، فأقام سورا ضخماً يمتد ما بين يافا وكفر سابا،(٢) وزوده بأبراج خشبية، إلا أن أنطيوخس الثانى عشر أضرم النار فى تلك الأبراج، ودمر السور وتمكن من اجتيازه، ولكنه لقى حتفه فى معركة مع الحارث ملك الأنباط، الذى تمكن من فرض سيطرته على منطقة واسعة تمتد حتى دمشق، وأصبح الأنباط يشكلون خطراً على اليهود،(٣) ولم يتمكن ينايوس من إبعاد هذا الخطر إلا بعد تقديم تنازلات. وعلى الرغم من اعتلال صحته نتيجة إفراطه فى شرب الخمر، فإنه واصل نشاطه العسكرى حتى وفاته فى عام ٧٦.(٤)

خلف الإسكندر ينايوس فى الحكم زوجته سالومى الكسندرا *Salome Alexandra* (٧٦ــ ٦٧)، ومما هو جدير بالذكر أن اليهود لم يخضعوا لحكم امرأة منذ عصور ضاربة فى القدم،(٥)

---

(1) Joseph. Ant. XIII, 15, 2 (389-91).

(2) Schurer., op. cit. p. 226.

(3) عن العلاقات بين الأنباط واليهود. أنظر:

فتحية حسين عقاب: العلاقات بين الأنباط واليهود وموقف الدولة الرومانية منها من أواخر القرن الثانى قبل الميلاد حتى القرن الأول الميلادى. رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جدة ـ المملكة العربية السعودية (٢٠٠٠م).

(4) Schurer., op. cit. p. 227.

(5) Grant. M., The History of Ancient Israel. New York. (1984). p. 222.

وكان لهذه السيدة ولدان هما هيركانوس الذى تولى منصب الكاهن الأكبر، اما شقيقه الأصغر أريستوبولوس فتولى القيادة العسكرية، وقام بحملة فاشلة على دمشق،(١) وقد شجعته والدته على القيام بهذه الحملة،(٢) وفى ذلك الوقت أصبحت مصائر الدولة السلوقية رهنا بمشيئة تيجرانيس *Tigranes* ملك أرمينيا، الذى استولي على سوريا، ولكنه لم يتدخل فى شئون اليهود بفضل هدايا سالومى.

لم يلبث الخلاف أن دب بين ابنى سالومى، وبينما كانت هذه السيدة على فراش الموت استطاع أريستوبولوس أن يحشد التأييد من خلفه لكى يخلف والدته بدلا من شقيقه الأكبر الوريث الشرعى، وعندما احتكم الطرفان إلى السلاح استطاع أريستوبولوس أن يهزم شقيقه الأكبر، وقد لجأ هذا الأخير إلى الحارث ملك الأنباط، الذى ضرب حصارا على أورشليم.

وفى تلك الأثناء ظهرت فى المنطقة قوة قدر لها أن تلعب الدور الحاسم على المسرح السياسى، وهى قوة الرومان، فإن المدن السورية التى استشعرت الخطر من تقدم تيجرانيس استنجدت بالرومان، الذين استجابوا لهذا الطلب، وأرسلوا حملة بقيادة لوكللوس *Lucellus*،(٣) وعندما علم تيجرانيس بتقدم الجيش الرومانى آثر الانسحاب، وعاد إلى بلاده، وفى عام ٦٩ دفعت روما بأحد أبناء البيت السلوقى لكى يتولى العرش، وتولى الحكم اسم أنطيوخس الثالث عشر، إلا أنه عرف باسم الآسيوى، لكن الاضطرابات ما لبثت أن تجدد بعد ظهور العديدين من المطالبين بالعرش.(٤)

---

(1) Roth. C., op. cit. p. 83.

(2) Russell., op. cit. p. 75.

(3) Cary. M; Scullard. H. H., A History of Rome Down to the Reign of Constantine. 3ed, London. (1979). p. 252.

(4) مفيد العابد: المرجع السابق، ص ١٥٢ـ١٥٣.

وفى عام ٦٥ جاء إلى المنطقة جيش رومانى تحت قيادة سكاوروس *Scaurus*. أحد رجـــال بومبى، وأصدر القائد الرومانى أوامره إلى الحارث برفع الحصار فامتثل الملك النبطى وانسحب إلى بلاده، وأصبح أريستوبولوس هو السلطة الوحيدة فى أورشليم، وبعد فترة وجيزة وصل بومبى إلى دمشق، فأرسل كلا الأخوين مندوبين إلى القائد الرومانى للحصول على اعتراف الرومـــان، ورأى بومبى أن هيركانوس هو الأجدر بتولى السلطة، ولكن أريستوبولوس رفض هذا القـــرار، وتحصن فى أورشليم مما دفع بومبى إلى مهاجمة المدينة، وتمكن من اقتحامها فى أحد أيام السبت من عام ٦٣، وأصبح هيركانوس يحكم أورشليم باعتباره الكاهن الأكبر، ولكنه لم يعد يحمل لقب ملك.(١) وقام بومبى بأسر أريستوبولوس، وحمله معه كأسير حرب إلى روما، وعندما أقام هــذا القائد موكب انتصاره فى عام ٦١ فى روما سار أريستوبولوس إلى جوار عجلته الحربية باعتباره أسير حرب، وتم تقليص حجم الدويلة اليهودية وأصبح عليها أنت تؤدى الجزية إلى روما.(٢)

أما الدولة السلوقية ذاتها فقد انتهى أمرها، وأدرك بومبى أن أبناء البيت السلوقى غير جديرين بالحكم، ويقال أن أهل أنطاكية الذين سئموا الصراع بين أمراء الأسرة السلوقية هم الذين حرضوا بومبى على أن يضع حدا لحكم هذه الأسرة، فأعلن القائد الرومانى إلغاء الدولة السلوقية وتحويل سوريا إلى ولاية رومانية فى عام ٦٤.(٣)

---

(1) Joseph. Ant. XIV 4, 4 (73).

(2) Schurer., op. cit. p. 241.

(3) Bevan., op. cit. p. 267.

وفى النهاية يمكن القول بأن تدخل اليهود فى الصراعات التى دارت بين أبناء البيت السلوقى كان الهدف منه سياسياً، وأن اليهود مثلهم فى ذلك مثل الكثيرين من الأفـراد والجماعـات فـى الولايات التابعة للدولة السلوقية استغلوا لحظات الضعف فى تاريخ الدولة السلوقية فـى تحقيـق مآربهم، وقد حرص اليهود على تصوير صراعهم مع الدولة السلوقية على أنـه صـراع دينـى قومى، وربما كان ذلك فى البداية بتأثير الثورة المكابية، التى حملت طابعاً دينياً وقومياً كرد فعل على محاولات الملك أنطيوخس الرابع للتدخل فى شئون اليهود، ومناصرة معسـكر المتـأغرقين منهم. إلا أن العداء بين اليهود والسلطة المركزية السلوقية لم يلبث أن أتخذ طابعاً سياسياً محضاً يتمثل فى محاولات اليهود المستمرة لتحقيق مكاسب على حساب السلطة المركزية، وممارسة نوع من الانتهازية فى سبيل تحقيق ذلك. فإنهم لم يجدوا غضاضة فى تأييد الإسـكندر بـالاس علـى الرغم من كونه ابنا لأنطيوخس الرابع الذى كانوا يكرهونه، ويدعون بأنه كان عدوا لليهود، وذلك لأن الإسكندر بالاس أسرف فى وعوده لزعيمهم يوناثان.

ولعلنا نلاحظ أن اليهود كانت لديهم قدرة فائقة على التحول من طرف إلى آخر، ثـم العـودة مرة أخرى إلى الطرف الذى تنكروا له إذا رأوا فى ذلك مصلحة لهم، فقد أيد يوناثان الإسـكندر بالاس ثم أنقلب عليه ونقل تأييده لديمتريوس الثانى، ثم ما لبث أن تنكر لديمتريوس الثانى وناصر أنطيوخس السادس والوصى عليه تريفون، وبعد أن قتل تريفون يوناثان لم يشعر اليهود وزعيمهم الجديد شمعون بأى حرج فى العودة إلى تأييد ديمتريوس الثانى الذى تخلوا عنه من قبل.

فى خلال سعى اليهود إلى استغلال ضعف الدولة وتحقيق طموحـاتهم السياسـية، اتسـمت تصرفاتهم بقدر كبير من الشراسة، وممارسة شهوة الانتقام، فحين طلب ديمتريوس الثـانى مـن يوناثان مساعدته فى إخماد ثورة أهل أنطاكية، أنتقى الكاهن الأكبر مجموعة من أشرس رجالـه الذين تمرسوا فى "حروب الرب" كما ذكرت المصادر اليهودية، وقد تمكن الجنـود مـن إخمـاد الثورة بقسوة لا نظير لها، وعادوا إلى أورشليم ليحدثوا أهلهم عما فعلوه فى أنطاكيـة "المدينـة الكافرة"، وأنهم قتلوا من أهلها مائة ألفا.

لم يكن اليهود فى حروبهم يراعون مقدسات الشعوب الأخرى، ففى أثناء الصراع بين الإسكندر بالاس وديمتريوس الثانى هاجم يوناثان مدينة أشدود، وقام بتدمير معبد المدينة على رؤوس السكان الذين لجأوا إليه كما قام أريستوبولوس بإرغام سكان الجليل والايتوريين على اعتناق اليهودية.

والحقيقة أن قيام اليهود خلال حروبهم التوسعية فى تلك الفترة بإرغام شعوب أخرى على اعتناق اليهودية أمر يثير الدهشة، فمن المعروف أن هناك تلازم ما بين الدين والقومية عند اليهود، وهم يدعون أنهم شعب الله المختار الذى لا ينبغى أن تشوبه شائبة من الشعوب الأخرى، وهم لا يرحبون عادة باعتناق أحد لليهودية على عكس الديانات الأخرى، وهذا يدل دلالة واضحة على أن أهداف حكام الأسرة الحشمونية لم تكن نابعة من العقيدة، بل كانت سياسية محضة القصد منها زيادة الاتباع الذين يؤدون لهم الجزية.

وإذا كنا بصدد الحديث عن تعاليم الديانة اليهودية: فإن ما يثير العجب أن يُقْدِم الكاهن الأكبر لأورشليم على شرب الخمر، وكما ذكرنا فإن شمعون قد تم اغتياله بينما كان فى حالة سكر بين، كما أن الإسكندر ينايوس كان معروف عنه الإفراط فى الشراب.

وإذا كانت الشراسة التى تعامل بها اليهود مع الشعوب الأخرى لها ما يبررها من وجهة نظرهم، فإن القسوة التى تعامل بها حكام الأسرة الحشمونية مع خصومهم السياسيين أمر مثير الاستنكار، فقد أعدم الإسكندر ينايوس ستة آلاف من الفريسيين، وفى مناسبة أخرى أخذ يتلذذ برؤية معارضيه وهم يشنقون أمام عينيه.

والحقيقة انه مما يثير العجب أن يلقى المتدينون اليهود هذا المصير على يد حاكم من أبناء الأسرة الحشمونية، والتى رفعت لواء التمرد ضد الدولة السلوقية دفاعاً عن الديانة اليهودية، ولسنا بصدد الدفاع عن الدولة السلوقية، فإن هذه الدولة لم تتخذ موقفا معاديا للديانة اليهودية ذاتها، وحتى الملك أنطيوخس الرابع الذى وصمته المصادر اليهودية بأنه اضطهد اليهود، فإن صراعه

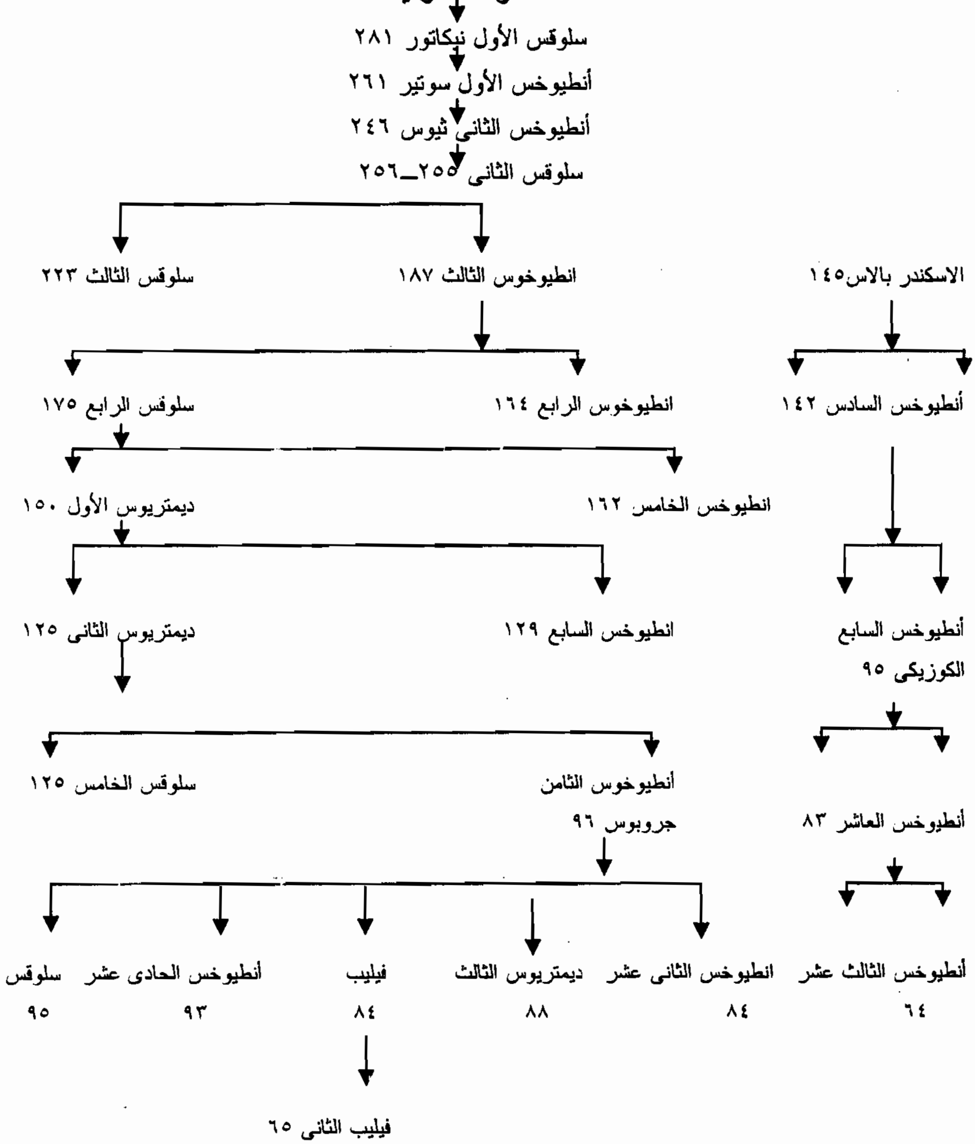
معهم كان سياسياً ولم يكن ذا طابع دينى، ولا يفوتنا أن نتذكر أن الملك أنطيوخس السابع فى أثناء حصاره لأورشليم حرص على إرسال الأضاحى لكى تقدم إلى هيكل أورشليم، حرصا منه على إظهار احترامه للديانة اليهودية.

القول إذن بأن صراع اليهود مع الدولة السلوقية، وحرصهم على التدخل فى الصراع على العرش لإضعاف هذه الدولة، دفاعا عن دينهم وقوميتهم هو قول ليس له ما يبرره، فإنه كان صراعا سياسيا حرص خلاله حكام الأسرة الحشمونية على تحقيق مكاسب سياسية ذاتية، وإلا فكيف تفسر اضطهادهم لفئة اليهود المتدينين (الفريسيين) واستخدام الجنود المرتزقة مثلما فعل يوحنا هيركانوس الذى قام بالسطو على مقبرة الملك داوود للوفاء بالتزاماته تجاه المرتزقة.

وإذا ما صدقنا ادعاءات حكام الأسرة الحشمونية بأن صراعهم مع السلطة المركزية فى الدولة السلوقية كانت من أجل المحافظة على الهوية اليهودية، فإن الحاكم فى هذه الحالة يكفيه فخراً أن يحمل لقب الكاهن الأكبر لهيكل أورشليم، إلا أن حرص هؤلاء الحكام على اتخاذ لقب ملك مثلما فصل الإسكندر ينايوس يشير بجلاء إلى أهدافهم السياسية الدنيوية، ولم تكن آفة الصراع على الحكم من نصيب البيت السلوقى فقط، بل شاركهم فى ذلك أبناء البيت الحشمونى فقد تصارع إبنا سالومى الكسندرا على منصب الكاهن الأكبر.

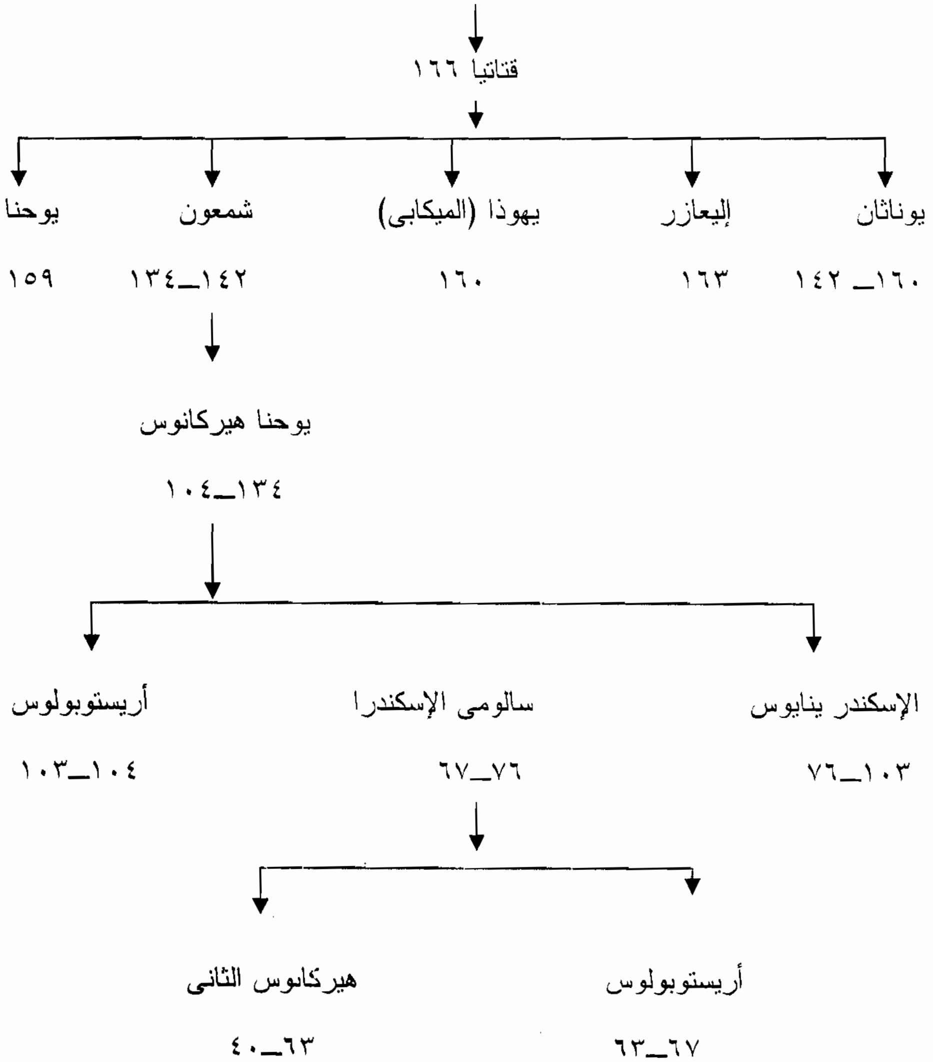
وخلاصة القول أن تدخل اليهود فى الصراع على العرش السلوقى كان الهدف منه سياسياً، وهو تحقيق اكبر قدر من المكاسب، وكانوا عادة ما يستغلون حالة الضعف فى الاستيلاء على المزيد من الأراضى، ولكن عندما يتولى السلطة حاكم قوى مثل تريفون أو أنطيوخس السابع فإنهم يلزمون حدودهم، وقد نجحوا فى كثير من الأحيان فى إيجاد دويلة تتمتع بالاستقلال على رأسها حاكم يحمل لقب ملك، ولها عملتها الخاصة.

الأسرة السلوقية



جميع هذه التواريخ هى تاريخ الوفاة.

الأسرة الحشمونية



ملحوظة: الأرقام المثبتة بشكل مفرد هى تاريخ الوفاة.